
الأسير
ثمامة بن أثال



اسم الكتـــاب: الأسير ثمامة بن أثال

اسم المؤلـــف: مصطفى دياب

القطـــــــع: ١٢×١٧ سم

عدد الصفحات: ١٥٢ صفحة

سنـة الطبـــع: ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

رقم الإيداع

٢٠١١/٣٤٢٠م



الإسكندرية أبو سليمان ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٠٠٥٠١٣١٥١ - ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦

دار الفتح الإسلامي
الإسكندرية مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١١٢٦٥٠٠٦٩٦ - ٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧

طبـع • نشـر • توزيـع



ثمامة بن أثال

تعليقات ووقفات تربوية

كتبه الشيخ

مصطفى دياب



الإسكندرية - أبو سليمان - شارع عمر - أمام مسجد الخلفاء الراشدين

الإدارة: ٠١٠٠٥٠١٣١٥١ المبيعات: ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦


راسلونا على صفحتنا على الفيس بوك: «دار الخلفاء الراشدين»


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ثم أما بعد؛



ثمامة بن أثال [1]

هو صحابي جليل، شأنه شأن كثير من أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ممَّن لا نحفظ أسماءهم ولا نذكرها رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، مع أن لهم باعًا عظيمًا في التغيير، والتأثير، والعلم، والعمل، والبذل لدين الله عَزَّوَجَلَّ، وتحمُّل الهمِّ.

وقد كان ثمامة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قائدًا وملكًا على اليمامة، وكان على قيادة اليمامة رجلان؛ أحدهما: هوذة بن علي، والآخر: ثمامة بن أثال، وقد كان ثمامة رجلًا فذًّا آسرًا، يستطيع أن يجمع الناس حوله، وله كلمة وقدر وشأن.

---

(١) **الأثال**: المال والمجد.

وكان قبل إسلامه من أشد الناس عداءً للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا نراه كثيرًا من أناسٍ كانوا مِن أشد الناس عداءً واعتداءً على أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعد إسلامهم يتغيَّر الحال، وتنقلب الأحوال تمامًا، وما هذا إلا بفضل الله عَزَّوَجَلَّ وبرحمته.

فكان ثمامة يومها واحدًا من هؤلاء الذين لا يحبون أن يسمعوا اسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا ذِكَره، ولا فكرَه، ولا هديَه، بل إذا رأوا أحدًا من أصحابه حاصروه وقاتلوه، وما هذا إلا لشدة عدائهم للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولصحبه الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وهو أيضًا أحد الذين فكَّروا في قتل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن أثناه عن هذا التفكير أحد أعمامه؛ لأن ذلك سيُقَلِّبُ عليهم قبائل العرب؛ إذ لا يُعقل أن يُقتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون أن تكون هناك حروب دامية بين القبيلتين، فتراجع ثمامة عن هذه الفكرة، لكنه لم يتراجع عن فكرة الاعتداء على أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كُتب الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الملوك

وفي السنة السادسة للهجرة عزم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن يوسِّع نطاق دعوته إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فكتب ثمانية كتب إلى ملوك العرب والعجم، وبعث بها إليهم يدعوهم فيها إلى الإسلام.

أي بعد تسعة عشر عامًا من الدعوة شرع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مراسلة ملوك العرب والعجم، إذن ماذا كان يفعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه المدة كلها؟

لقد أمضى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث عشرة سنة في مكة يربِّي الرجال، أو قُل: يربِّي الجبال، يربِّي الجيل الذي سيحمل همَّ هذه الدعوة المباركة وهذه الأمانة.

لقد قضى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة عشر عامًا في بناء وتشييد جيل النصر الذي سيكون على عاتقه هذا العبء العظيم؛ وهو نشر الدين في كل ربوع الأرض، أو قُل: كان يُعد الأعمدة الخرسانية التي سيقوم عليها أعظم بنيان عرفته البشرية بإذن الله.

تسعة عشر عامًا تنقسم إلى فترات سرية وفترات جهرية، فترات اضطر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الإسرار بدعوته فيها، لا يستطيع أن يتكلم، ولا يستطيع أن يعلن عن هوية هذا الدين على الملأ، ولكن كان التحرك ببطء وهدوء، فلم يتوقف حتى مرَّت ثلاث سنوات وما زال عدد الأصحاب قليلًا.. حتى مرت عشر سنوات وما زال العدد قليل أيضًا وما بلغ عددهم المائة، لكن كان كل واحد منهم صالحًا لأن يكون أمة بمفرده؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استطاع أن يصهرهم في بوتقة واحدة، وأن يجعل هذا الدين ملء قلوبهم، فعاشوا بهذا الدين، ولهذا الدين، وصبروا، وتحمَّلوا أشد ألوان العذاب والأذى في سبيل هذا الدين.

حقيقة البنيان

ولقد حاولت قريش أن تقضي على دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة، وبعد أن هاجر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانت له دولة في المدينة أرادت أن تقضي على دعوته ودولته في مهدها، ولكن الله عَزَّ وَجَلَّ نصره، وأعز جنده.

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يتعجل في توسُّعِه؛ بل بذل الجهد أولًا في التأسيسِ، ووَضْعِ الأعمدة، وتجذيرِ الإيمان في قلوب أتباعه، وتربيتِهم أحسن تربية على القرآن والعمل لدين الله عَزَّوَجَلَّ.

وأنت -أخي الحبيب- ربما تبدأ في مكانك سنة أو أكثر تبني بناءً يبدو صغيرًا حسب الإمكانات والظروف، ولكنه مع الأيام والإخلاص والصبر والاحتساب يكبر، ويأتي ثماره، فالمهم أن تستمر في البناء، ولا تيأس، ولا تتوقف، ولا تفتُر.

ومن الممكن أن تواجه في السنة الأولى للعمل أو في وضع اللبنات الأولى صعوبات شديدة، فإننا إن أردنا إنشاء بناء ضخم؛ فأصعب شيء فيه هو وضع الأساسات؛ حيث تعمل الآلات على الحفر في أعماق الأرض، ووضع الحديد ومواد البناء، وبعد شهور من المجهود المبذول لا تجد شيئًا على وجه الأرض، وربما لا يفهم البعض ما يجري؛ فيلوم ويُعاتب ويتهمك بالتقصير.

لكن الذي يحدث هو أهم مرحلة في البناء وأصعبها؛ حيث يتم وضع الأوتاد والأعمدة والجذور، وكلما ضرب الجذر في أعماق الأرض؛ كلما كان البنيان المنتظَر أعلى وأقوى وأمثل إن شاء الله.

وبعد هذه الفترة الطويلة تجد العمارة العملاقة ترتفع خلال أشهر معدودات، وهكذا مظاهر الالتزام تبدو خلال أشهر معدودات؛ فترى اللحية والثوب القصير وترك مصافحة الأجنبيات وغير ذلك من مظاهر تغير السلوك والأخلاق، ولكن الالتزام والبناء الداخلي والتغير الحقيقي قبل هذا الظاهر قد استغرق وقتًا طويلًا؛ فإن الأخ قبل أن يلتحي أو يلتزم مرَّ بمراحل تغير في نفسه، وصراعات داخلية كثيرة بين الحق والباطل كانت نتيجتها أنه أخذ قرار إظهار الشعار والالتزام.

وكذلك الأخت إذا أرادت ارتداء الخمار أو النقاب؛ فالأمر ليس ثوبًا ترتديه؛ ولكنه تغيُّر في الأعماق أولًا، ثم قرار ارتداء الخمار أو النقاب.

إذن أخطر المراحل هي المراحل الأولى التي قد لا تظهر، فعلى المربي الاهتمام بها؛ فالمهندس لا يمكن أن يحفر دون أن يخطِّط على الورق لموضع كل عمود في مكانه، فالعمود الذي سيضعه في الأرض سيظل عمودًا في كل طابق من هذا البناء، ولا يمكن أن يغير وضعه، فلابد إذن أن يوضع بعد خطة ودراسة وتصور للمستقبل

أو للهدف، فالقيم والمبادئ والعقائد التي تُغرس في البداية هي التي تبقى مهما طال عليها الزمان.

ولذا كان أثر المربِّي في المرحلة الأولى من حياة المتربي خطيرًا وهامًّا جدًّا يحتاج إلى عناية وحسن دراية، فمرحلة التأسيس أو مرحلة الحرث والبذر ليست تضييعًا للأوقات؛ لأنه لا يمكن أن يصعد بنيان عظيم عالٍ شاهق إلا إذا كانت أوتاده وأعمدته قوية ضاربة في الأعماق، وهنا تكمن أهمية تربية النشء، بل تربية الأجيال للمستقبل.

ولذلك كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصًا على أن يكون الرجال ضاربين في أصول وجذور هذا الدين المتين قبل هذه التوسعات، فلا يكون الإنسان متعجِّلًا في التوسُّع، يريد أن يجعل نشاطًا هنا ونشاطًا هناك، ثم ماذا بعد ذلك؟ مَن الذي سيتابع هذه الأنشطة؟! مَن الذي سيُتِم هذه الأنشطة؟! من الذي سيُتمِّم هذه الأبنية؟!

فإذا بدأنا بناءً فإنه يجب علينا الاجتهاد في إنهائه في أجمل صورة وأكملها وأتمها؛ فقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب إذا عمل أحدُنا عملًا أن يتمَّه، وكان يقول: «**إنَّ الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَى **يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمْلًا أَنْ**

يُتْقِنَهُ»[١]، ونحن وللأسف -إلا من رحم الله- كثيرة هي أعمالنا الناقصة.

وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى الله -تَعَالَى- أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**»[٢]، ولذلك إذا وضعت برنامجًا أو منهجًا فلتجعلْه مناسبًا لظروفك حتى تنتهي منه، ثم تضع آخر وينتهي، وهكذا كلما انتهيت من برنامج شرعت في آخر.

أما أن تضع برنامجًا ثم لا تتمكن من إنهاء شيء منه، أو تبذر بذرة ولا تتابع نموها؛ فهذا خطأ.

ولذلك كانت أهداف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخططه وبرامجه واضحة وضوحًا جليًّا؛ فلم يكن توسعه توسعًا عشوائيًّا؛ بل بعد دراسة وتأنٍّ واستعداد لهذه المرحلة.

وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا راسل ملوك العرب والعجم؛ فلابد أن يتوقع ردود الأفعال سواء بالإيجاب أو السلب، ولذلك لابد أن

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٨٩٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩٢٩) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٨٠).

(٢) رواه البخاري (٥٨٦٢)، ومسلم (٧٨٥) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

لا تتوسع إلا إذا أدركتَ أن التوسع هو طاعة الوقت، وأن التوسع هو واجب المرحلة الحالية، وقد أعددتَ له عُدتَه.

أما إذا رأيت غيره فلا تتوسع؛ بل كُن على رِسلك حتى تبني بنيانًا قويًّا متينًا.

التدرج في التغيير

فبدأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة السادسة حملة جديدة لنشر الدين وتبليغ الرسالة، فأخذ يخاطب ثماني دول، فكان هذا تدرجًا في مخاطبة دول الجوار والعالم الخارجي ودعوتهم.

والتدرج في الأمور عمومًا مبنيٌّ على قاعدة شرعية، وهو أصل من الأصول التي دلت عليها الشريعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف:٥٤]، والله عَزَّوَجَلَّ قادر على خلقها بكلمة واحدة، ولكن له في ذلك حكمة عَزَّوَجَلَّ.

ولما بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذًا إلى اليمن قال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي**

كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ»(١) .

وفي ذلك بيانٌ واضح للدعوة، والتعليم بالتدرج، ومراعاة الابتداء بالأهم فالمهم، فكلمة التوحيد هي الأصل الأول الذي ينبغي أن يبدأ به كل داعٍ ومعلم؛ إذ هي مفتاح الإسلام، وأول واجب أوجبه الله عَزَّوَجَلَّ على الخلق.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران:٧٩]، قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ أي: حلماء فقهاء، ويقال: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره.

وقال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المراد بصغار العلم ما وضح من مسائله، وبكباره ما دَقَّ منها»، أي: يكون البدء بالسهل الواضح الخفيف على النفس قبل الصعب الغامض؛ لأن النفس تنشط للذي تعلمه وتفهمه وتقدر عليه، ثم بالتدرج تألف وترغب في المزيد.

ولاشك أن للتدرج أهميته وثمرته، ولكن عندما يتعلَّق الأمر والنهي بمسألة اعتقادية؛ فإن الإسلام يقضي فيها قضاءً حاسمًا منذ

---

(١) رواه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (٢١) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

اللحظة الأولى، أما إن تعلق بعادة أو وضع اجتماعي مُعقَّد؛ فإن الإسلام يتريث به، ويأخذ المسألة باليسر والرفق والتدرج، ويهيِّئ الظروف الواقعية التي تُيسِّر التنفيذ والطاعة، فلا تريث إذن في مسائل العقيدة.

تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ -أي: من القرآن- سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ؛ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ؛ لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لَا تَزْنُوا؛ لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا»(١).

ويقول الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن العلوم مرتبة ترتيبًا ضروريًّا، وبعضها طريق إلى بعض، والموفَّق من راعى ذلك الترتيب والتدريج».

فمراعاة التدرج في الدعوة إلى الله والتبليغ والتربية والتعليم أسلوب جدير بالاهتمام والعناية؛ لما يتحقق بسببه من نتائج وفوائد مثمرة، فالإنسان لا يتغير مرة واحدة؛ ولكن هناك عقبات في طريق

(١) رواه البخاري (٤٩٩٣) موقوفًا على أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

التزامه، وبقدر نجاح الداعية في إزالة هذه العقبات يتقدم المدعو إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكذلك التائب من الذنوب والمتعلِّم والمسترشد لا يمكن في أول الأمر أن يؤمر بجميع الدين، ويُذكر له جميع العلم؛ فإنه لا يطيق ذلك، وإذا لم يطقه لم يكن واجبًا عليه في هذه الحال، وإذا لم يكن واجبًا لم يكن للعالم أو الأمير أن يوجبه جميعه ابتداءً؛ بل يعفو عن الأمر والنهي بما لا يمكن علمه وعمله إلى وقت الإمكان كما عفى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قبل، ولا يكون ذلك مِن باب إقرار المحرمات وترك الأمر بالواجبات؛ لأن الوجوب والتحريم مشروط بإمكان العلم والعمل».

وباتباع هذا الأسلوب السليم المتميز تحصل بركة الدعوة والعلم؛ لأن النفس البشرية عمومًا جُبِلت على حب الإقناع بالرفق واليسر، وهو خير كله، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ حُرِمَ الرِّفْقَ حُرِمَ الخَيْرَ**»[(١)].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٩٣) من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.



ثمامة يتلقى الرسالة

وكان في جملة من كاتَبَهُم النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمامة بن أثال الحنفي؛ فقد بعث إليه هو وهوذة بن علي، وهما قائدا اليمامة.

لكن ثمامة تلقى رسالة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالزراية والإعراض، وأخذته العزة بالإثم؛ فأصم أذنيه عن سماع دعوة الحق والخير. ولكن لماذا اختار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمامة ليكون في طليعة من يراسلهم؟

إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدرك أن ثمامة قائد اليمامة، والتي هي ريف مكة، فإذا وضع رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده على ريف مكة؛ فقد وضع يده على قلب مكة وبطنها، وحينئذٍ يختلف الأمر مع مكة.

إذن فلم يكن اختيار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتوسُّعه توسعًا عشوائيًّا؛ وإنما كان عن دراسة، وحكمة، وترتيب، وإعداد.

وموقف ثمامة شأنه شأن الملوك غالبًا؛ حيث يرى أحدهم نفسه هو صاحب الأمر والنهي، فكيف يُدعى إلى الاستسلام والخضوع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟! فتأخذه العزة بالإثم ويقول في نفسه: «أنا صاحب الأمر والنهي، كيف أسمع وأطيع؟!»، فهذا أمر شديد على نفسه، وشهوة الرياسة والزعامة والسيطرة على رقاب الناس لها بريق شديد.

وتأمل قول الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران:٢٦]، فالنزع فيه شدة لشدة التمسك والتعلُّق به، وتغلغه في نفس المالك، فالله عَزَّوَجَلَّ قادر على نزع وسلب الملك من أي مخلوق مهما بلغت سعة ملكه ومهما اشتدت قوته.

ولذلك لما تلقى ثمامة الرسالة تلقاها بازدراء وسخرية.

الإنسان عدو ما يجهل

والإنسان -غالبًا- عدوٌّ ما يجهل، فيُعادي الشيء قبل أن يتعرف عليه، وهذا ليس من الإنصاف، وهذا قد يجعله يخسر كثيرًا، في حين أنه إذا سمع وتعلَّم ما يجهل، ثم أخذ قراره بعد ذلك؛ لكان خيرًا له، وبركة عليه وعلى مَن حوله إن شاء الله.

وهذا كما حدث مع أسيد بن الحضير رَضِيَٱللَّهُعَنهُ عندما جاء مصعب بن عمير رَضِيَٱللَّهُعَنهُ لدعوته، فقال أسيد لمصعب ومن معه: «ما جاء بكما إلى ديارنا، وأغراكما بضعفائنا؟! اعتزلا هذا الحي إن كانت لكما بنفسيكما حاجة».

فالتفت مصعب إلى أُسيد بوجهه المشرق بنور الإيمان، وخاطبه بلهجته الصادقة الآسرة، وقال له: «يا سيد قومه، هل لك في خير من ذلك؟».

قال: «وما هو؟».

قال: «تجلس إلينا وتسمع منا، فإن رضيت ما قلناه قبلته، وإن لم ترضَهُ تحوَّلنا عنكم ولم نعد إليكم».

قال أسيد: «لقد أنصفت»، وركز رمحه في الأرض وجلس. ثم تكلَّم مصعب عن معالم الدين، وبيَّنه، ووضَّحه، وقرأ عليه من القرآن، فانبسطت أساريره، وأشرق وجهه، فقال: «ما أحسن هذا الذي تقول! وما أجلَّ ذلك الذي تتلو! كيف تصنعون إذا أردتم الدخول في الإسلام؟!»، فأرشده مصعب فأسلم.

فكان من بركة إنصافه وسماعه أن ينجو من النار، ويصبح مِن القادة العاملين للدين الجديد، فالإنسان عدوٌّ ما يجهل، فهو يعادي ما لا يعرفه، لكن الصحيح أن تتعرف على ما لا تعرفه؛ فقد تأتيك آلة حديثة لا تعرفها، فتقول: «هذه آلة مدمرة»! وتلقيها بعيدًا، وربما كان فيها خير عظيم، فلا تلقِها؛ بل سَلْ صاحبَها، وتعرَّف عليها، وانظر فيها؛ فقد تكون جيدة ومفيدة، وفيها مصلحتك ونجاتك.

وتذكَّر حينما ظهر اختراع الراديو قال عنه بعض الناس أنه جهاز مملوء بالعفاريت! ومنعوا هذا الجهاز أن يدخل أي بيت! وتناقل الناس التحذير من أن هذا جهاز فيه شيطان؛ لأننا ما سمعنا يومًا من الأيام أن خشبًا وحديدًا يتكلمان! وبعد زمان بدأ الناس يفهمون شأن هذا الجهاز، وقبلوا بعد ذلك ما هو أكثر غموضًا وتعقيدًا منه.

فالإنسان إذا تعرَّف على الشيء، ورأى أنه يمكن أن ينتفع به؛ فلا مانع من قبوله ما لم يكن إثمًا، فلا تُعادي ما تجهله أو مَن لا تعرفه، بل تعرَّف عليه، وكُن منصفًا، فإن أعجبك قبلتَه، وإن لم يعجبْك تركته وطردته.

لقد تلقى ثمامة رسالة النبي ﷺ بالزراية والإعراض، وأخذته العزَّة بالإثم؛ فأصمَّ أذنيه عن سماع دعوة الحق والخير، فما منعه إلا الكبر.

وهذا مِن أخطر أمراض القلوب؛ أن يكون في نفس الإنسان كِبرٌ يمنعه مِن قبول الحق، ويصده عن اتباع الداعي، مع أنه كان من الممكن أن يسمع ويعقل، ويقتفي أثر أسيد بن الحضير الذي سمع الحق، فشرح الله صدره، ودخل النور في قلبه.

لكن ثمامة أخذته العزة بالإثم، فأصمَّ أذنيه عن سماع دعوة الحق والخير، وسلك مسلك الطفيل بن عمرو الذي كان رجلًا أديبًا يعرف اللغة والشعر، ومع ذلك أعمته قريش، وحَشَتْ قلبَه وعقلَه بكراهية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحذَّرته من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل زعمت له أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيسحرك بكلماته، فما زالوا به -وهو الأديب الأريب العالم بالشعر واللغة- حتى وضع في أذنيه قطنًا؛ لئلا يصل إلى سمعه من كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيء!

ومِن هنا ندرك خطورة الصحبة السيئة التي أبعدته عن الحق، كما ندرك خطورة الإعلام الفاسد، وكيف أنه يضلل الناس، ويزيِّف الحقائق، ويحملهم على عدم قبول الحق مع وضوح هذا الحق، ولكن الإعلام الفاسد في كل زمان هو ساحر الملك الذي يزيِّف الحقائق ويشوِّهها، ويصرف الناس عن اتباع الهدى والنور.

وكم سمعنا عن أفلام ومسلسلات تشوه صورة الملتزم والمنتقبة، وتحارب القيم والمفاهيم والثوابت الدينية، وتتَّهم الملتزمين بالإرهاب والتطرف، وتحذر في طيَّاتها من اتباع أهل الحق.

وفي أيامنا هذه يسيطر على الإعلام الصهاينة الذين يزوِّرون التاريخ، وينشرون الرذيلة، ويشنُّون الحملات لحرب المسلمين في صور متعددة؛ منها القنوات الفضائية التي تطعن في التشريع الإسلامي، أو تلك التي تشكك في آيات القرآن، أو تلك القنوات النصرانية التي تنشر الكفر والفساد، أو الشيعية التي تجهر بسب الصحابة الكرام، والطعن في أمهات المؤمنين الأطهار الأبرار.

فليحذر أهل الإسلام من هذا الإعلام الفاسد، وليحرصوا على إيجاد البديل ما أمكن، ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف:٨].



لا تحارب نفسك

وقد نرى أن الإنسان في أحيان كثيرة هو الذي يمنع الخير عن نفسه، ويصدُّها عن الوصول إلى الحق، وهو الذي يضع الحواجز والموانع والعقبات أمام التزامه، فمَن الذي وضع القطن في أذن الطفيل بن عمرو، هو أم غيره؟! من الذي سدَّ أذن ثمامة بن أثال عن سماع الحق، هو أم غيره؟!

أخي الحبيب...

أنت أحيانًا الذي تضع العوائق أمام التزامك وتدينك وقربك من الله عَزَّوَجَلَّ، أنت الذي تدَّعي أنك ضعيف لا تستطيع أن تترك ما تمارسه من العادات السيئة، وتدَّعي أنك وحدك ولا أحد يساعدك، وتدَّعي أن الطريق طويل، وتدَّعي أنك لن تستطيع أن تستقيم أو أن تُقدِّم شيئًا لدينك، وتدَّعي... وتدَّعي... وتضع الحوائل باستمرار بالماضي المؤلم المُحرق، وإقناع نفسك بالعجز والفشل، وعدم الاستعانة بالله عَزَّوَجَلَّ كما ينبغي، مع غياب الدعاء الصادق والعزيمة القوية.

أخي الحبيب...

اعتزل نادي الشعور بالنقص، واسحب عضويتك منه لأنك قوي بالله عَزَّوَجَلَّ.

إن قرار الالتزام يحتاج إلى صدق وإرادة وصدق استعانة بالله عَزَّوَجَلَّ، ويجب على العبد أن يعمل على طهارة قلبه من أمراضه، وخاصة أمراض الكبر والغرور والإعجاب بالنفس، كما ينبغي عليه أن يتخلص من أصدقاء السوء الذين يزيِّنون له طريق الباطل والفساد والانحراف، ويخوِّفونه من طريق الحق وأهله.

وليعلم العبد أن إرادة الله غالبة، ولطف الله بعباده عظيم.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾

فرغم أن الطفيل بن عمرو وضع القطن في أذنيه حتى لا يسمع الحق؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ إذا أراد لقلبِ عبدٍ أن يُولد من جديد فسيولد من جديد لا محالة مهما وُضعت التدابير حتى لا يسمع هذا الدين أو يرى هذا النور، ولكن المشكلة أنه قد يتأخر إسلامه كثيرًا، ويكون من المسبوقين، ولكن الحمد لله على لطفه وإحسانه، وإذا كنت على الطريق متأخرًا أفضل من أن تكون على غير الطريق متقدمًا، وثمامة ممَّن تأخَّر إسلامه؛ إذ كان إرسال الرسائل إلى الملوك في سنة ست، ولم يُقبض عليه في هذه السنة؛ وإنما قُبض عليه بعدها بفترة.

والأمراض التي في القلب تؤخر العبد، ولذلك ينبغي أن يكون العبد حريصًا على تطهير قلبه من أمراضه، سبَّاقًا ومبادرًا إلى الأعمال الصالحة، ولا يتأخر حتى يقدمه الله.

محاولة اغتيال الحبيب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ثم إن ثمامة أغراه شيطانه بقتل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووأد دعوته معه، فدأب يتحين الفرص للقضاء على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

حتى أصاب منه غرة، وكادت تتم الجريمة الشنعاء لولا أن أحد أعمامه أثناه عن عزمه في آخر لحظة، فنجَّى الله نبيَّه من شره، والله حافظٌ نبيَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧].

وهكذا نرى أن أعداء هذه الدعوة يعتقدون أنهم إذا قتلوا الداعي ماتت الدعوة، واندثرت أصولها ومبادؤها كسائر الدعوات والاتجاهات، ولكنَّ الدعوة الحقَّة لا تموت بموت رائدها، ولا تمرض بمرضه، ولا تسافر بسفره؛ ولكنها تبقى برجالها وأبنائها وأجيالها، ويبقى الدين؛ لأنه دين الله عَزَّوَجَلَّ.

فأحيانًا يحاولون قتل صاحب العقيدة.. قتل صاحب الفكرة.. قتل صاحب المنهج؛ ليقضوا على انتشاره في أول أمره، وأحيانًا يحاولون تعذيب مَن اتبعوه على هذا الأمر وتشريدهم حتى ينفضَّ الناس مِن حوله، وتضعف شوكته، ويقل انتشار منهجه وعقيدته وفكرته كما فعلت قريش مع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولكن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، ودخل دار الأرقم، وأمر بالهجرة للمدينة، وربَّى الجيل حتى نصره الله عَزَّوَجَلَّ وأظهر دينه.

وكذلك حاول فرعون مِن قبل قتلَ موسى صاحب الرسالة فقال: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ [غافر:٢٦]، وموسى بين يديه ويعجز عنه؛ لأن الله يعصم رسله وأنبياءه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج:٣٨].

وكما هدد بتعذيب الأتباع حملة الرسالة: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [طه:٧١].

وهنا يحاول ثمامة قتل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي أثناه عن عزمه هو عمُّه، وكان عمُّه هذا كافرًا، لتدرك أن الله عَزَّوَجَلَّ ينصر هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خَلَاق لهم، فيتدخل أناس لا علاقة لهم بالدين لا نصرة للدين؛ وإنما لأغراض شخصية، ولكن يكون بذلك النصر والتأييد لهذا الدين ولهذه الدعوة، فقلوب كل العباد بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، وأيضًا لتدرك رعاية الله وعنايته بأوليائه ودفاعه عنهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج:٣٨].

فإذا كنتَ صاحب دعوة حقَّة موافقة لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبفهم سلف الأمة فاصبر؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ سوف

يدافع عنك، فبقدر إخلاصك والتزامك وبَذْلك لهذا الدين؛ يكون هذا الدفع.

ولذلك فإن العبد إذا أراد النجاة، أو أراد الحفظ والتوفيق؛ فلابد أن يكون الإخلاص رفيقه وحليفه دومًا، فالأعمال لا يقبلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلا بالإخلاص والمتابعة.

وفاء المربي لأتباعه

ولكن ثمامة إذا كان قد كَفَّ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يقتله؛ لكنه لم يَكُفَّ عن أصحابه؛ حيث جعل يتربص بهم حتى ظفر بعدد منهم، وقتلهم شر قتلة؛ فأهدر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دمه، وأعلن ذلك في أصحابه.

وهكذا الداعي إلى الله أو القائد أو المربي يتألَّم لتألم أتباعه، ولا يرضى لهم الضرر، فهو وإن لم تصبه الضربات يتألم لتألم إخوانه وأصحابه وأتباعه، وهذا حال الدعاة الصادقين المخلصين الأوفياء بأبنائهم وطلابهم، فلا يوردونهم الموارد، ولا يعرِّضونهم للمهالك ولا للفتن، بل يحافظون عليهم كما يحافظون على أنفسهم، فجسد

المربي وجسدهم واحد، ونفس المربي ونفسهم واحدة، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ**»[(١)].

نعم أخي الحبيب؛ فأنا وأنت نفس واحدة، «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»[(٢)].

فهذا الوفاء من المربي للأبناء قد ورثه التابعي الجليل سعيد ابن جبير عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذا عندما يقبض عليه الحجاج، ويعذبه، ويهم بقتله؛ يتوجه صاحب الدعوة المستجابة إلى ربه قائلًا: «اللهم لا تسلط الحجاج على أحد بعدي بعد اليوم».

فلم يطلب النجاة لنفسه؛ بل طلب نجاة أتباعه وأبنائه الذين يعلمهم ويربيهم، كيف لا وهو مدرسة تربوية ربانية أصولها وجذورها إرث نبوي؟! فلله الحمد والمنة.

---

(١) رواه أبو داود (٢٧٥١)، والترمذي (١٤١٣)، وابن ماجه (٢٦٨٥) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٧١٢).

(٢) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٧) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهنا نرى الحبيب ﷺ من شدة تأثره وحزنه على أصحابه الذين قتلوا أهدر دم ثمامة، وهذا حكمه الشرعي، فسمح لمن رآه في أي مكان أن يقتله، وأعلن ذلك في أصحابه، بل أهدر دم مجموعة أخرى من المشركين آذوه ﷺ وآذوا أصحابه الكرام، وقد أمَّن النبيُّ ﷺ الناسَ يوم فتح مكة إلا أربعة؛ وهم: عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خَطَلَ، ومَقيس بن صُبَابَة، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وقال ﷺ: «**اقْتُلُوهُمْ، وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ**»[(١)].

فأما عبد الله بن سعد بن أبي السرح فأسلم أيام الفتح وحَسُنَ إسلامه، وكذلك عكرمة بن أبي جهل أسلم بعد فتح مكة وحَسُن إسلامه، أما عبد الله بن خطل فقد أُخذ من تحت أستار الكعبة فقتل بين المقام وزمزم، وكذلك مقيس بن صبابة قتل عام الفتح.

وكان النبي ﷺ يمر على بعض أصحابه وهم يُعذَّبون

---

(١) رواه النسائي (٤٠٦٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وخبر قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة، رواه البخاري (١٨٤٦)، ومسلم (١٣٥٩) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ويتألمون، فيواسيهم، ويأمرهم بالصبر، ويقول لآل ياسر: «**صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الجَنَّةُ**»[(١)].

يشق عليه، ويتألم لهم لأنهم يعذبون، وهو لا يملك لهم حولًا ولا قوة، ومع هذا يُصَبِّرهم، ويبشرهم بالنصر والجنة، ويأذن لهم بالهجرة إلى الحبشة، ثم بعد ذلك يأمرهم بالهجرة إلى المدينة؛ حفاظًا على اللبنات الأساسية للدعوة من الضياع، ولوضع حجر أساس الدولة المسلمة تمهيدًا لإعلان الدولة.

فطريق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والطريق إلى الجنة ليس مفروشًا بالورود، بل فيه الآلام والمشقة والتعذيب والاضطهاد والأعداء، قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

وسريعًا مرت الأيام

وتمر الأيام، ويعزم ثمامة بن أثال على الرحيل إلى مكة لأداء العمرة. لكنها عمرة على الطريقة الشركية والنظام الجاهلي؛ حيث يطوف بعضهم بالكعبة عراة، ويذبحون للأصنام.

(١) رواه ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ٢٠٣) بلاغًا، ووصله الحاكم (٣/ ٣٨٣)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٥١١)، وقال الألباني في «فقه السيرة» (ص١٠٣): «حسن صحيح».

فانطلق مِن أرض اليمامة موليًا وجهه شطر مكة، وهو يمنِّي نفسه بالطواف حول الكعبة والذبح لأصنامها.

وهكذا ترى أن أهل الباطل يحاولون أن يُلبسوا صنيعهم ثوب التدين، فلا بأس عنده أن يكفر، ويسفك الدماء، ويعذِّب، ويعتقل ويخالف الشرع كله، ومع ذلك يذهب ليحج ويعتمر، وينصح الناس أن يتركوا طريق السنة، ويزعم لهم أن الشرع كان قديمًا، وأن السُّنة تطرف وإرهاب، ويقوم بدور الناصح الأمين وهو الغادر الخائن.

أما ثمامة فسيعتمر، ويطوف بالكعبة، ويذبح أيضًا للأصنام تقربًا، ويبذل مِن ماله ووقته وجهده، وهو نفسه الذي يصد عن سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، ويحارب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقتل أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ولا تمنعه هذه الأيدي الملوثة بدماء أصحاب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن أن يرفعها بالدعاء، ويذهب ويعتمر، بل هو ذاهب ليتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بجهده الذي يبذله ضد الإسلام!

فأعداء الإسلام يحاولون إلباس صنيعهم ثوب التدين، فهو يسهر ليله ويقضي نهاره في محاربة ما يسميه بالتطرف الديني، ويروِّع أبناء المجتمع والملتزمين منهم، وهو يعتقد أنه ينشر الأمن والأمان

في ربوع الأرض، وأنه حامي الأوطان، وهو في الحقيقة يحارب عين الدين، ويحارب أولياء الرحمن، وهذا طريق الخسران.

قال تعالى في الحديث القدسي: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**»[(١)]، وقد نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ترويع المسلم وإفزاعه فقال: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا**»[(٢)]، وقضى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على من أفزع إنسانًا فأحدث بغائط أو ببول بثلث الدية.

فكيف يكون حال هؤلاء الذين يُفزعون الكبار والأطفال والنساء والشيوخ الركع، ويتباهون أنهم أفزعوا الرجل حتى بال على نفسه أو تغوط، أو أسقطت المرأة حملها؟! فحسبنا الله ونعم الوكيل.

دعاء الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وبينما كان ثمامة في بعض طريقه إلى المدينة نزلت به نازلة لم تكن في حسبانه؛ ذلك أن سرية من سرايا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت تجوس خلال الديار؛ خوفًا من أن يطرق المدينة طارق، أو

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه أبو داود (٥٠٠٤) عن رجال من صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦٥٨).

يريدها معتدٍ بشرٍّ، فوقع ثمامة في قبضة هذه السرية، وهذه تدابير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومقاديره، وأثر لطفه بخلقه.

قدَّر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له أن يُقبض عليه، وأن يُؤتي به إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا مِن بركة دعائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك؛ فقد عرض ثمامة وهو مشرك للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأراد قتله، فدعا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يمكِّنه منه، وقد استجاب الله دعاء نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمسكت خيول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثمامة بن أثال أثناء تجولها وحراستها.

ولا عجب؛ فالمدينة قد أصبحت دولة لها مؤسساتها، ولها جيشها الذي يحميها، وحدودها التي تحافظ عليها، ولها سلاح مخابرات يترقب أعداءها الكائدين لها والمتربصين بها لإيقاع الشر والفساد بها، فهذه سرية تستكشف وتحمي ديار المسلمين.

ثمامة يقع في الأسر

أسرت السرية ثمامة وهي لا تعرفه، وهذا -أيضًا- مِن لطف الله عَزَّ وَجَلَّ بثمامة؛ إذ لو كانوا يعرفونه لقتلوه؛ لأنه مهدور الدم، وقَتلُه طاعةٌ لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن الله سَلَّم، وأتت به السرية إلى

المدينة، وشدَّته إلى سارية من سواري المسجد منتظرة أن يقف النبي الكريم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بنفسه على شأن الأسير، وأن يأمر فيه بأمره.

حرس الحدود

لقد أسرت السرية ثمامة، فنِعم الجند ذلك الجند، ونِعم الحرس ذلك الحرس اليقظ المتيقظ لخدمة هذا الدين والحفاظ عليه من كيد الكائدين واعتداء المعتدين، وقد قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله**»[(١)].

فما أحوجنا إلى تلك العيون الساهرة حُرَّاس العقيدة والديانة الذين يقفون على الثغور وعلى السطور، فلا يدعون فرصة لمنافق ولا كافر ولا صليبي ولا علماني أن يخوض في هذا الدين، ولا أن يعتدي على هذه الشريعة الغراء وتلك العقيدة السامية.

فعلماء أمتنا الربانيون العاملون العابدون هم حرس الحدود لنا، وهم حُرَّاس العقيدة والمنهج والمبادئ والمستقبل إن شاء الله،

(١) رواه الترمذي (١٦٣٩) من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وصححه الألباني في «المشكاة» (٣٨٢٩).

فيبذلون أعمارهم في الذبِّ عن هذا الدين، ودفع كيد الكائدين مِن صوفية وشيعة ونصارى وغيرهم، ويقفون بالمرصاد لمن أراد العبث بثوابت هذا الدين وقيمه ومبادئه، فإن الحرب التي تعيشها الأمة اليوم هي حرب المفاهيم والثوابت.

فكونوا -أيها الأحباب- حراسًا لهذا الدين، وتعلَّموا واعملوا، وتربوا على الإيمان، والعمل الصالح، والإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، والعمل للدين، وخدمته، ونشره؛ حتى تكونوا مِن جند الله المخلصين الذين يدفعون عن هذا الدين، ويعملون على نصره ونشره، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

ثمامة إلى محبسه المبارك

لقد أسرت السرية ثمامة، وأتت به إلى المدينة، وشدَّته إلى سارية من سواري المسجد وهي لا تعرفه، فلم تَعْتَدِ عليه بالضرب أو السب أو القتل، فما كان الصحابة متشوقين لسفك الدماء وإزهاق الأرواح أو سلب البشر؛ ولكن كانوا متشوقين لهداية البشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ولعل ذلك من أسباب أسره وعدم التسرع في قتله وسلبه، والله أعلم.

فربطه رجالُ هذه السرية بالمسجد، وانتظروا أن يقف النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه على شأن الأسير، وأن يأمر فيه بأمره.

إذن فانتظار القائد أو المربي لأخذ القرار مسألة مهمة، وليس ذلك طعنًا في العاملين، نعم لك أن تجتهد وتفكر وتبدع، والقائد أو المربي لا يحجر على عقول العاملين لخدمة هذا الدين، فليعمل الجنود، ولكن لابد أن يقفوا ويُرجعوا الأمر في نهايته إلى القائد في مرحلة ما قبل التنفيذ، حيث يعتمد هذا الجهد، ويقول: افعلوا أو لا تفعلوا، اقتلوه أو أطلقوه، فالأمر النهائي من القائد حتمًا ولابد، ما لم يكن قد فوَّض غيره.

والقائد أو المربِّي يعوِّد أبناءه على الابتكار والإبداع وتقديم دراسة جدوى عن المشاريع التي يُراد تنفيذها، وتُعرض على القائد أو المربي أو مَن ينوب عنه، فإذا تم اعتمادها يبدأ التنفيذ على بركة الله عَزَّوَجَلَّ.

فهناك خطوط لا ينبغي أن يتخطاها الجندي، فهو يعمل في إطار عمل جماعي له أصوله وقواعده، وله فيه دورٌ محدود، وخطوات محددة، وفضيلة العمل الجماعي تكمن في هذا الخير والنفع والإصلاح الذي يحدث باجتماع الناس على العمل.



المسجد مقر الإصلاح والتربية

لقد وضعوا ثمامة في المسجد؛ إذ ليست عندهم سجون ولا معتقلات، فلم يكن عهد النبوة عهد إرهاب ولا تعذيب ولا تضييق على الخلق، ولم يكن هناك ضغط ولا اضطهاد؛ بل كان الناس محبين للشرع، حريصين على تطبيقه.

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي يردُّ المرأة التي زنت حتى تضع حملها، فلا تهرب؛ بل تضع الحمل، وترجع تحمله، فيردُّها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى تفطمه، فترجع بعد عامين وفي يده كسرة خبز يأكلها.

فلا حاجة إذن للسجون وتقييد الحريات؛ لأن الناس يعيشون بالإسلام.

وهنا نرى -كما ذكر كثير من أهل العلم- جواز ربط الأسير وحبسه في المسجد، وجواز إدخال الكافر إلى المسجد بإذن مسلم؛ لمصلحة شرعية، لا للسياحة.

وقد كانوا إذا ما أخطأ الرجل؛ جعلوه في المسجد حتى ينظروا في مشكلته.

وكان هذا شأن أبي لبابة بن المنذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ إذ لما سأله اليهود في بني قريظة: «أترى أن ننزل على حكم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا أبا لبابة؟»، فقال: «نعم»، ولكنه أشار بيده إلى حلقه ليُعلمهم أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حكم عليهم بالذبح؛ قال أبو لبابة: «فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم أدرِ كيف أخرج من سخط الله».

فانطلق أبو لبابة إلى بيته، وأحضر سلسلة من حديد، وطلب أن يُشدَّ بها إلى سارية من سواري المسجد وهو واقف على قدميه، وقال: «والله لا أحل نفسي، ولا أصيب طعامًا ولا شرابًا حتى يتوب الله عليَّ أو أموت».

ما أعظم هذه التربية التي تجعله يراقب نفسه، ويعلم خطأه، ويطالب بتطهيره من أسر معصيته وخطئه، ويستسلم للمربي ليهذبه ويقوِّمه بنفسه!

فلما رآه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حاله هذه، وعرف ما كان من أمره؛ قال: «**أَمَا إِنَّهُ لَوْ أَتَانِي لاستغفرت له، ولكنه قد فعل، فلست أطلقه حتى يطلقه الله**».

واستمر أبو لبابة ستة أيام بلياليهن مشدودًا إلى سارية المسجد حتى جاءه الفرج عند السحر مِن الليلة السابعة؛ إذ ضحك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «ممَّ تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله سنك»، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَابَ الله عَلَى أَبِي لُبَابَةَ**».

فقالت أم سلمة: «أفلا أبشره يا رسول الله؟»، فقال لها: «**بَلَى إِنْ شِئْتِ**»، فقامت على الباب وقالت: «يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك»، فثار الناس ليُطلقوه، لكنه قال: «لا والله حتى يطلقني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده»، فأطلقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالمسجد يربِّي ويُهذِّب ويُصلِح ويعلِّم، وإنما يوضع الأسير في المسجد لأنه يُراد به الخير، فقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصًا على أن ينتشر الخير في هذه الأمة، ويحب أن يُسلِمَ الناس، وإسلام واحد خير له من قتل ألف رجل، ولذلك كان يُحسن إلى الأسير، ويُحسن إلى الكافر رجاء إسلامه.

ومع ذلك فليس إحسانه إلى الكافر إحسان ود ومحبة؛ إذ ليس هناك ولاء ولا محبة ولا مودة بيننا وبين الكفار؛ وإنما تنصرف المودة والمحبة كلها إلى المسلمين، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ

وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

فإسلام الناس محبب إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك لم يأمر بثمامة أن يُلقى في سجن تحت الأرض مثلًا، أو أن يُبعد عن الخلق، أو أن يتوارى وراء الشمس، أو أن يُقتل، أو أن يُعلَّق على المشانق مع أنه قتل مِن أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قتل.

لقد كان ثمامة يقتل خلاصة أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الدعوة كانت في مهدها، ورجالها كانوا قلَّة، فلم يكونوا غثاء مثلًا؛ وإنما كانوا رجالًا لكل منهم وزنه ومكانه وأثره في البناء، وهذا يؤلم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلا شك، ومع ذلك يجعله في سارية المسجد، ويكون حريصًا على إسلامه؛ لأن أصحابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد فازوا بالشهادة، فإذا أسلم ثمامة، ثم قاتل وقُتل في سبيل الله؛ دخل معهم الجنة، وهذا مِن عظيم رحمة الله بعباده.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلانِ الجَنَّةَ؛ يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ**»(١)، فالإسلام يَجُبُّ ما قبله.

فانظر إلى حرص الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هداية الخلق، وكذلك الدعاة أتباع الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحملون مثله الهمَّ، ويأملون في هداية البشرية، ويتناسون أذية الخلق لهم، ويعملون على هدايتهم.

ولما خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المسجد، وهَمَّ بالدخول فيه؛ رأى ثمامة مربوطًا في السارية، فقال لأصحابه: «**أَتَدْرُونَ مَنْ أَخَذْتُمْ؟**»، فقالوا: «لا يا رسول الله»، فقال: «**هَذَا ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ الحَنَفِيُّ، فَأَحْسِنُوا أَسَارَهُ**»، أي: أحسنوا معاملة أسيركم، ولم يرَ ثمامةُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يسمع كلامه.

وهنا نلاحظ أن المربي لابد له أن يلحظ كلَّ جديد حوله، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتابع أحوال المسجد، وبمجرد دخوله لاحظ وجود ثمامة، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتابع أحوال المسجد، وأحوال المدينة، وأحوال الرعية.

---

(١) رواه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وبعضنا قد يدخل المسجد غاضًّا بصره، لا يُسلِّم على أحد، ولا يتعرف على جديد دخل ليصلي، ولا يسأل عن غائب، ولا ينظر في حاجة محتاج، بل تراه دائم التجهُّم، ثم يصلي وينصرف دون شعور بإخوانه، أو معرفة لأحوالهم، فإلى الله المشتكى.

ونرى -أيضًا- هذا الإحسان إلى الأسرى رجاء إسلامهم وهدايتهم، وكان بوسع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يشمت في موقف ثمامة ذلك الملك المقهور، ولكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يحرص على كسب الأشخاص لا على كسب المواقف، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَحْسِنُوا أَسَارَهُ**»، وكان من الممكن أن يقول: «هذا قاتل أصحابكم فعذِّبوه»، كلمة واحدة يذوق بعدها مِن ألوان العذاب ما لم يذقه أحد من قبل، لكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن فظًّا غليظًا سفَّاكًا للدماء؛ بل كان رفيقًا رحيمًا يحب الهداية للخلق مهما ذاق منهم من أذى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محتسبًا ذلك عند الله عَزَّوَجَلَّ.

كيف لا؛ وقد كان يأمر بالرحمة في قتل الوزغ، ويُحفِّز على ذلك، وقال: «**مَنْ قَتَلَ وَزَغَةً فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ؛ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، وَمَنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّانِيَةِ؛ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً -لِدُونِ الْأُولَى-، وَإِنْ قَتَلَهَا**

فِي الضَّرْبَةِ الثَّالِثَةِ؛ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً -لِدُونِ الثَّانِيَةِ»[١]، وهذا لرحمتها حين قتلها دون تعذيب.

وقد حكى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -ليهذّب أمته ويربيها- قصة نملة قرصت نبيًّا من أنبياء الله، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى الله إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ؟!»**[٢].

عاتبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لأنه أحرق قرية النمل لأجل نملة قرصته، وأنه إن كان لابد من معاقبة فليقتل النملة التي قرصته فقط.

إن الأمة التي تربَّى أبناؤها على العدل والإنصاف وعدم التجاوز، وعلى الرحمة حتى بالحيوان والحشرات لاشك أنها أمة مؤهلة لقيادة البشرية.

بين يدي اللقاء التاريخي

لم يأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتل ثمامة، ولا بتعذيبه، ولا بتشريده؛ ولكنه أمر بالإحسان إلى ثمامة، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضع خطوات

---

(١) رواه مسلم (٢٢٤١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (٣٠١٩)، ومسلم (٢٢٤٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لدعوة ثمامة، ذلك القائد الملك، ولابد أن ينزله منزله اللائق به، وأن يستدرج هذا الرجل إلى الإسلام استدراجًا لطيفًا؛ إذ لا يمكن أن تساومه على الإسلام أو القتل مثلًا؛ فإنه سيختار القتل بلا تردد؛ لما في نفسه من الإباء والعزة وإن كانت بالإثم.

فدخوله في الإسلام يحتاج إلى تفكير وترتيب وإعداد وصبر، ولاشك أن لسوء المعاملة مردودًا سلبيًّا، فإذا أُسيئت معاملة الأسير فإنه سيرجع محملًا بالغيظ والحقد والكراهية، ويكون شخصية عدائية انتقامية، ولكن النبي العظيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتصرف بحكمة، ويعلِّم الأجيال كيف تدعو، وكيف تربي، وكيف تبذل لهذا الدين.

لقد رجع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أهله وقال: «**اجْمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ مِنْ طَعَامٍ، وَابْعَثُوا بِهِ إِلَى ثُمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ**».

ما أعظم حرص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الإحسان! وما أرق قلبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! فرغم بساطة بيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرهم أن يجمعوا ما عندهم، فيُضطرون لجمع كل ما في بيته لوجبة واحدة، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤثِرُ هذا الرجل بصدق على نفسه وعلى أهل بيته رجاء إسلامه.

فلابد أن يبادر الداعية، وأن يبدأ بنفسه أولًا، ويبذل من ماله الشخصي، ومن قوَّته، ولا يبخل على دعوته، والله عَزَّوَجَلَّ سيُخلف عليه، وهو قدوة، فلابد من المبادرة.

وكم نرى قادة يأمرون ولا يبادرون هم بالبذل والمشاركة، فيفقد الأبناء والأتباع مشاهدة القدوة، ولذا لا تجد الثمار يانعة ناضجة إن وُجدت، فقد كان بإمكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول لأحد أصحابه: «**أطعم ثمامة كل يوم**»، لكن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبذل من ماله ونفقاته الخاصة أولًا؛ حتى تتربى الأمة ويتربى الدعاة على البذل لدين الله عَزَّوَجَلَّ.

فإذا عجزت هذه النفقات؛ فإنه ينظر إلى مال أصحابه، فيحث الناس على الإنفاق، فيقول: «من يُطعم فلانًا؟ من يتضيف فلانًا؟»، فيبذل المربي والداعي جهده ووقته وماله وجاهه ونفسه لله عَزَّوَجَلَّ.

سيول الإحسان

ولم يكتفِ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإرسال الطعام؛ بل أمر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بناقته أن تُحلب لثمامة في الغدو والرواح، وأن يُقدَّم إليه لبنها.

ما أعظم إحسان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحلمه وصبره في الدعوة إلى الله! وما أقوى هذا السلاح الدعوي الذي يستخدمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحكمة بالغة! إنه الإحسان، والإنسان أسير الإحسان، كما قال الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم

لطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

فإحسانك إلى الناس يأسرهم ويجمع قلوبهم حولك، والإحسان ليس بالطعام والشراب فقط؛ بل مِن أعظم الإحسان إلى الناس إرشادهم إلى طريق الله عَزَّوَجَلَّ وهدايتهم إليه.

وقال آخر:

ومن وجد الإحسان قيدًا تقيدًا

فالإحسان يجذب قلوبَ الناس إلى مَن يحسن إليهم، فإذا أحسنتَ إليهم، وبررتَ بهم، ومنحتَهم؛ أحبوك، والعبد إذا امتثل أمر ربه واجتنب النواهي وصبر على ما أصابه؛ كان محسنًا.

وللإحسان دائمًا أعظم الأثر، ولذا أمرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يحسنوا إليه، كل هذا والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يلتقِ بثمامة بعد، لكنه أمر

له بالطعام والشراب والرعاية وهو ما يزال بعيدًا عنه، وهذا يبيِّن أن هناك عملًا جماعيًّا مرتبًا يشترك فيه الجميع قبل لقاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثمامة وأثناءه وبعده كذلك.

وتهيئة المناخ الدعوي ليشارك فيه أصحاب المربي في غاية الأهمية، فيقدِّم أحدهم الطعام، ويأتيه آخر باللبن في الصباح، وثالث باللبن بعد العصر، وغير ذلك؛ حتى يشعر ثمامة بالإحسان والإكرام والراحة والسكينة وسط مجتمع المسلمين، ويحتك ببعضهم، ويعاملهم عن قرب، ويرى أخلاقهم.

وحين يجتمع الناس بعضهم ببعض يكون ذلك اختبارًا حقيقيًّا لما تلقوه من تربية، ولما يحملونه من قيم، ولذا فالذي يحتك مع إخوانه أمام المدعوين الجدد يجب أن يُراعي أنَّ ما يحدث منه مِن سلوك قد يُنقل إلى المدعو الجديد باعتباره الصواب، وهو إفراز طبيعي لما تربَّى عليه وتعلَّمه، ولذا يجب علينا أن نعيش بإسلامنا، وأن نراقب أحوالنا، وأن نهذب سلوكنا وأخلاقنا؛ حتى نكون مشاعل هداية وإرشاد ومفاتيح للخير.

اللقاء المرتقب

ثم إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقبل على ثمامة يريد أن يستدرجه إلى الإسلام، ويريد أن يتدرج به حتى يفهم الإسلام ويعلن إسلامه، وهذا يوضح ضرورة التدرج في دعوة الناس، ومراعاة أحوالهم وعقولهم؛ إذ لا يعقل أن يُؤتي إلى شخص منغمس في المعاصي والشهوات من مخدرات ودخان ونساء ومواقع إباحية وعلاقات شاذة ومحرمة وغير ذلك، ثم يُعتقد أنه سيترك كل هذا مرة واحدة، أو أنه يدخل الالتزام مرة واحدة؛ بل لابد أن تتدرج معه؛ لإقناعه بفساد ما هو عليه، وضرورة تحوُّله عنه، وربط قلبه بالمسجد؛ حتى ينتقل من الشارع إلى المسجد.

وذلك لأنه يستشعر أن عبور عتبة المسجد أو تجاوزها يكلفه أعباء كبيرة جدًّا، وأن المسألة عسيرة عليه رغم أن باب المسجد مفتوح ولا توجد أي معوقات، لكنه يرى أن أمام دخوله المسجد معوقات كثيرة وكبيرة جدًّا؛ إذ لابد له أن يخلع كل ما عليه من آثار الجاهلية ورواسبها حتى يكون من أهل المسجد، حتى يكون مسلمًا

بحق، حتى يكون مصليًّا عابدًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولابد أن يتبرأ ويخلع عنه كل آثار الجاهلية.

فهو يرى أن هذا عبءٌ كبيرٌ عليه، فهو ما زال يقف في الطرقات يستمع إلى الغناء والموسيقى، ويلبس القلائد والسلاسل، ويرافق البنات في علاقات مشبوهة ومحرمة، ويمارس العادات السيئة المحرمة ويفعل كذا وكذا، فكيف ينتقل من هذا المجتمع إلى مجتمع المسجد هذا المجتمع المتدين المتطهر الذي يعرف ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟! فكان لابد من التدرج وزرع الثقة في نفسه بنصر الله عَزَّوَجَلَّ، وتأييده، وعونه لمن سلك السبيل.

وهكذا أراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يستدرج ثمامة، وينقله درجة درجة حتى يصل به إلى الاقتناع والإيمان، وإلى أن يكون واحدًا من المسلمين، وهذا مِن فقه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحكمته وبصيرته؛ فقد أدرك أن الأمر لا يكون هكذا دفعة واحدة، ولكن الصبر الصبر، وهذا ما يعلمه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته.

فلو نقلت الشاب أو المدعو مِن الشارع إلى المسجد مِن قبل أن تعلِّق قلبه به ودون تدرج وإقناع ومعالجة لهمومه وذنوبه، وكان

همُّك أن يصلي معك فقط؛ لزاغ منك، ولخرج من المسجد؛ لأنه ما زال ملطخًا بآثار الجاهلية، فمهما ربطته بالمسجد فربما هرب منك.

فالناس حقًّا تحتاج إلى من يرأف بها، ويتدرج معها، ويصبر عليها، ويعاونها في حل مشاكلها وتجاوز العقبات التي تحول دون الالتزام، ولابد من يدٍ حانية بانية حازمة تمتد إليهم لتساعدهم، وتبصِّرهم بالطريق، وتعينهم على السير عليه.

وليس معنى التدرج أننا نرضى بالمعاصي أو الكفر؛ ولكن التدرج هو تمهيد للدخول في عملية التغيير الجذري الذي يحوِّل العاصي إلى عابد عامل لله بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، ويكون ذلك برفق كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ**»[(١)].

ولذلك أراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتدرج مع ثمامة، خصوصًا وقد بلغ ثمامة من كراهيته للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبلغًا أراد معه اغتيال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكيف ينقله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من درجة الكراهية الشديدة إلى درجة الحب؟

---

(١) رواه أحمد (٢٧٣١٨) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٤٦).

لابد من إذابة جبال الكراهية الموجودة عند ثمامة بسيول الإحسان، فأحسن إليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يغلِّظ له القول؛ بل كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رفيقًا لينًا، وأطعمه من بيته، وسقاه مِن حليب ناقته، ومِن ماله الخاص، ولاشك أن ثمامة كان يدرك ذلك جيدًا، وإن لم يدرك ذلك فإن البذل من الداعي له أثره في هداية القلوب بإذن الله، فطعام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المبارك ولبن ناقته في بطن ثمامة لابد أن يكون له أثر بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

وضوح الهدف

إن وضوح هدف المربي مع مَن يربيه أو يدعوه يختصر الطريق أيما اختصار، ويهدي إلى أفضل السبل المؤدية لهذا الهدف، ففي كثير من الأحيان يتعرف أحدُنا على الشاب مثلًا وهو لا يدري ماذا يريد منه بوضوح، وما هي الخطوة التالية التي ينتظرها المربي مِن هذا المدعو، ولذلك يستمر معه فترة من الزمن، ومع ذلك تجد رواسب الجاهلية بادية عليه دون مواربة، فيظهر ذلك في طريقة كلامه، وملبسه، وحركاته، ومعاملاته، وأخلاقه، وسلوكياته، بل في تقواه لله عَزَّوَجَلَّ.

والخلل هنا عند المربّي الذي لم يحدِّد أمراض الشاب وآفاته واحتياجاته الأساسية، ولم يضع برنامجًا متدرجًا مدروسًا لعلاج تلك الأمراض والتخلص من تلك الآفات، ولذا تجد الشاب لا يتغيَّر كثيرًا رغم طول مكثه مع هذا المعلم أو المربي.



مثلث التربية
بناء -علاج -وقاء

إن غرفة المربي أو داره أشبه بغرفة العناية المركزة؛ إذا دخل فيها المريض يجب الإسراع لإنقاذه من الهلاك دون تردد ودون تباطئ في تحديد الداء وإيقاف النزيف، ثم البدء مباشرة في الإسعافات الأولية والعلاج المبدئي، ثم بعد استقرار الحالة يبدأ علاج آخر على برنامج آخر لمدة أطول؛ لاستئصال المرض والشفاء بإذن الله، وشفاء مريضنا من نزيف الذنوب بأن يتوب ثم لا يعود.

إن غرفة المربي أو حجرته هي غرفة تغيِّر للتي هي أقوم.

إن المربي الناجح يعلم أن التربية أحيانًا تكون للبناء العقدي والعبادي والأخلاقي والسلوكي والمعاملاتي ولغرس القيم والمفاهيم

والثوابت، وتارة تكون التربية علاجية لعلاج الآفات والأمراض التي أصبحت عائقًا في سبيل الالتزام والتدين والتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ والعمل لدين الله أو عائقًا للتغيير، وتارة تكون التربية وقائية بحيث تضع التدابير التي تقي المتعلِّم من الانزلاق في هوة الفتنة أو الشهوة أو الشبهة بإذن الله تعالى، وذلك كله يحتاج للصبر والمصابرة.

وبالنسبة لثمامة فقد كان هدف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واضحًا جليًّا؛ وهو نقل ثمامة من الكفر إلى الإسلام، ولذلك استدرج ثمامة بهذه الطريقة أولًا؛ يقدم له المعروف والإحسان، ويتركه من خلال هذه السارية ينظر إلى أصحابه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كيف يحبونه، ويحترمونه، ويتعلمون بين يديه، وكيف يوقِّرون الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يرى ثمامة بعينيه كل ما يدور في المجتمع المسلم مع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدون تعليق، فهو يشاهد فقط، ويكتسب معلومات جديدة، ويرى الإسلام واقعًا عن قُرب، فهو لم يشاهد مثل هذا الاحترام والتوقير لِمَلِكٍ من قبل.

وتَرَكه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد ليرى هذه المشاهد والمشاعر، وتتكرر أمامه، ويسمع القرآن يُتلى في الصلاة وخارجها،

وتؤثر في قلبه الآيات والصلوات وتغيِّره، فيتساءل في نفسه: الناس كلهم يحبون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أنت يا ثمامة؟!

ويا له من مسكين حين يرى الناس يتهافتون على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقبلين، وأن الناس جميعًا يحبونه، وهو الذي يكرهه ويتولى عنه، فتتغير نفسه، فتثور التساؤلات في نفسه عن سبب محبة الناس له وكراهيته هو للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتغيير نفسه، ويتغير قلبه تجاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي رآه عن قُرب، ورأى أخلاقه وسلوكياته، وعرف دينه عن قرب، وعرف كيف معاملته للخلق كلهم، فبين يدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا طرد ولا ضرب ولا إليك إليك.

لقد كان يسمع عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما صدَّه عن لقائه، ولكنه لم يسمع منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد آن الأوان ليرى ويسمع بنفسه.

ولاشك أن مشاهدة الطائعين لها أثر بالغ في التغيير، وتحريك القلوب نحو الطاعة، وعلى العكس؛ فإن مشاهدة الظالمين والعُصاة تؤثر سلبيًّا في القلب، فتحوله عن الطاعة إلى المعصية.

أما رؤية الطائعين فهي سبب في جلب القلوب، وهذا ما حدث مع الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أدخله ابن الدِّغِنَةِ في جواره، فقد قالت

قريش لابن الدغنة: «مُر أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصلِّ وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به؛ فإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا».

فقال ذلك ابنُ الدغنة لأبي بكر، فطفق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعبد ربه في داره ولا يستعلن بالصلاة ولا القراءة في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتني مسجدًا بفناء داره، وبرز فكان يصلي فيه، ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساءُ المشركين وأبناؤهم يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلًا بكاءً لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن.

فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا له: «إنا كنا أجرنا أبا بكر على أن يعبد ربه في داره، وإنه جاوز ذلك فابتني مسجدًا بفناء داره، وأعلن الصلاة والقراءة، وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا، فأْتِهِ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبي إلا أن يعلن ذلك فسَلْهُ أن يردَّ إليك ذمتك؛ فإنا كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان»[(١)].

(١) رواه البخاري (٣٩٠٥) موقوفًا على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فرؤية الطائعين تؤثر ولاشك، ولذلك كان من الضروري أن يُظهرَ كلُّ مسلم شعائر دينه في كل مكان: في عمله، وفي مدرسته وجامعته؛ حتى يتأثر الناس بسلوكه مِن غير دعوة باللسان، فالمؤمن من إذا رُئي ذُكِر الله عَزَّوَجَلَّ.

الحوار، ووقفاتٌ ثلاث

أقبل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ثمامة يريد أن يستدرجه إلى الإسلام، وقال: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**».

فقال: «عندي يا محمد خير، فإن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال؛ فسل تعط منه ما شئت».

الوقفة الأولى:

قوله: «إن تقتل تقتل ذا دم»، فهذا الكلام يحتمل أن يكون تهديدًا؛ فثمامة يبدو أنه ما زال يرى نفسه قائدًا حرًّا، ولم يستوعب بعد أنه أصبح في الأسر، فما زالت في نبرة حديثه حدَّة وشدة، فيبدأ حواره مع الحبيب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**إن تقتل تقتل ذا دم**»، أي: تقتل رجلًا لدمه موقع يشتفي به قاتله، يعني تقتل رجلًا ذا شأن.

وربما كذلك يحمل وجهًا آخر غير التهديد؛ فقد نرى في الحديث نبرة فيها اعتراف بحق النبي ﷺ، ورفع العتب عنه في أي تصرف يقدم عليه؛ وذلك لأن قوله: «**تقتل ذا دم**» تعني أيضًا: أنك تقتل مَن عليه دم مطلوب به وهو مستحق عليه، فلا عتب عليك في قتله.

إن ثمامة رجل جليل يحتفل قاتله بقتله، لكن النبي ﷺ كان يرغِّب في الإنعام، ويأمر به أكثر مِن القتل، وتلك مِن صفات الرجولة والعزة، ولَإِسلام رجلٍ عند النبي ﷺ أحب إليه من سفك دم ألف رجل.

ولقد فهم النبي ﷺ رسالة ثمامة والتي فحواها إنك إن قتلتني فلا عتب عليك ولا لوم، ولكن هل أنت مَن يفعل ذلك؟ وهذا ما يستبعده ثمامة من خلال ما رآه من الإحسان، ومنزلة الحبيب ﷺ وأخلاقه، ولذا كانت الوقفة الثانية.

الوقفة الثانية:

قوله: «وإن تنعم تنعم على شاكر» أي: إذ أنعمت عليَّ وعفوت عني فقد عفوتَ عن شاكر، فهو مَلِك، ويعرف كيف يشكر مَن أنعم عليه، فستجد نتيجة إحسانك إحسانًا ممَّن يُقدِّر المعروف.

ولعل الذي دفعه لعرض طلب الإنعام ثانيًا خشية أن يُظن به الجبن، ولما رآه من أخلاق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحلمه وحكمته، فعرضه في الوقفة الثانية، والله أعلم.

الوقفة الثالثة:

قوله: «وإن أردت المال فسل تعط منه ما شئت»، وأهل الباطل يستخدمون المال كوسيلة من أقوى الوسائل التي تجذب ذوي القلوب الضعيفة، وتُخضع ذوي الضمائر الخربة، وللمال بريقه وتأثيره في حياة الناس، ولذا عرض هذا العرض؛ لعله يجد صدى، ولكنه أخَّره لأنه رأى بنفسه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن أبعد الناس عن حب المال أو كنزه، بل كان يأمر بإنفاق الأموال إن وجدت، وكان يخاف على أمته أن تغرق في المال فيكون فتنة لها، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فَوَ الله مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ؛ وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»**[(١)].

---

(١) رواه البخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦٣) من حديث عمرو بن عوف الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فثمامة يعرض المال لعل اقتصاد تلك الدولة الوليدة النامية ما زال ضعيفًا والمال يُنعشها.

ولكن هذه الخيارات الثلاثة لا يرضاها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ **أولًا:** لأنها ليست الأهداف التي يسعى إليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ثانيًا:** أن في طياتها ما لا يرضاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ففي الأول: تهديد، وفي الثاني: تعالٍ، وفي الثالث: تعريض بالمسلمين وفقرهم، وهذا لا يرضاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنفسه ولا لأصحابه، وهو مع ذلك لا يحقق ما يريده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ثمامة، ولذا تركه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومين على حاله، يُؤتى له بالطعام والشراب، ويُحمل إليه لبن الناقة، فلم يقطع إنعامه وإحسانه رغم هذا الحوار الجاف.

فالمربي لا يتعجل النتائج، ولا ينتصر لنفسه بقدر ما يراعي مشاعر مَن يربِّي، ولا يُخرجه غيظه عن التفكير الصائب والاتزان، كما أنه لا يتعجَّل سير خطته؛ بل يصبر على الثمار حتى تنضج.

كما أن المربي الناجح يدرك أن التغير والاستجابة قد لا تحدث مع أول لقاء، ولكن للِّقاء أثره في التغير بعد ذلك، ولذا فلا يتوقف المربي عن تطبيق برنامجه في التغيير، ولا يقسو على المدعو، بل يصبر،

ويكرر التجربة، ويتابع في كل مرة التغيير حتى تؤتي الدعوة ثمارها، ولا يتعجل الثمار، ولا ييأس مهما طال الزمان.

فإذا أعددتَ برنامجًا؛ فاصبر عليه شهرًا واثنين وثلاثة حتى يؤتى ثماره؛ فالأمور لا تتغير بسرعة، فإذا بذرت في الأرض اليوم فلا تنتظر أن تعطي الثمرة غدًا؛ وإنما تحتاج إلى وقت طويل ومتابعة، فمن الممكن أن تبذر بذرة؛ فتخرج شجرة لا تؤتي ثمرها إلا بعد سنوات من بذرها، فلماذا نستعجل الثمر؟!

إن الكلمات المخلصة تجد طريقها إلى القلوب مهما طال عليها الزمن، ولذا فالحوار مع المدعو لابد أن يستمر بإخلاص بعيدًا عن الجدال، ومهما طال الحوار الصادق فسوف يؤتي ثماره.

وقد يظن أحدنا أنه إذا تكلم مع الشاب أو العاصي مرة فقد أدى ما عليه، ويظن أن حواره لم يأتِ بثمرة، أو أن الشاب ليس فيه خير، والأمر ليس كذلك؛ بل هذا الداعي متعجل، ولم يبذل ما ينبغي؛ فالحوار قد يطول، وقد يتكرر حتى يأتي بالثمرة إن شاء الله.

إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يجادل ثمامة؛ وإنما قال له: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**»، فرد ثمامة بهذه الجمل الثلاث، فما ردَّ عليه رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا اعترض عليه، ولم يهدده بالقتل، فيجب على الداعي إلى الله عَزَّ وَجَلَّ أن يصبر على المدعو، وأن يخاطب مَن يدعوهم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بالرفق واللين، ويعطيهم الفرصة للتفكير ومراجعة النفس والحوار مع النفس، ويصبر عليهم حتى يستطيع أن يصل معهم إلى حلول لمشاكلهم الموجودة، ولا يتسرع في اتخاذ مواقف ضدهم، فيتحول هو إلى عائق أمام المدعو، كما ينبغي على الداعي أو المربي البعد عن المنِّ على المدعو.

ومما يلاحظ أيضًا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يهاجم ثمامة؛ بل سمع منه العبارات والإجابات بهدوء رغم أنها تثير الغضب، إلا أنه لم يغضب، بل سمعها وسكت.

مرحلة المخاض

لقد تركه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدها يومين، فهل تكفي للتفكير في موقف النبي؟!

ثم أتاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**»، فقال: «ليس عندي إلا ما قلت لك من قبل؛ إن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن

تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تُعطَ منه ما شئت»، إنها مرحلة المخاض.

فثمامة يقول أنه لا جديد عنده، ومع ذلك أتى بجديد، فالتغير الداخلي وهداية القلب وميلاده قد يكون قبل هداية الجوارح، وقد لا يشعر بها المدعو أحيانًا.

أما الداعي أو المربي فيجب أن يتحلَّى بدقة الملاحظة للتغييرات الحادثة في المتربي، ولا يتخلَّى عن متابعة أحوال المدعو، ولا يتعجل تغيير برامجه ظانًّا أنها غير مجدية.

فثمامة تغيرت الأولويات في قلبه، وبدأ يتغير مِن داخله قبل أن يتغير مِن خارجه، فالذي يقدم الإنعام يسترضي المقدَّم له، فكأن ثمامة شعر أنه لا ينبغي له الكلام من برج عالٍ، وأنه لا يصح أن يخاطب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي رأى قدره وتوقيره بين أصحابه بهذه الطريقة.

ولقد شعر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا التغير، ومع ذلك لم يُرضِهِ هذا الرد؛ فهو ينتظر منه الأفضل إن شاء الله.

فتركه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرة أخرى يومين على حاله؛ يؤتي له بالطعام والشراب، ويُحمل إليه لبن الناقة، ثم جاءه فقال: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**». فقال: «عندي ما قلت لك»، فلم يقل في المرة الثانية: «يا محمد» كما قال في الأولى، وإنما قال: «ليس عندي إلا ما قلت لك»، وقال في الثالثة كذلك قال: «ما عندي إلا ما قلت لك» ولم يقل: «يا محمد» أيضًا، فبدأ يخفف من حدة حديثه ويتأدب فيه، فقال: «إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال أعطيتك منه ما تشاء».

فحذف كلمة: «سل» التي تدل على الفقر، والحاجة، والضعف، وضيق ذات اليد، وجعل مكانها: «أعطيتك»؛ لأن «سل» تعني السؤال والحاجة، وهذه فيها ذل وإهانة، لكن «أعطيتك» لاشك أفضل، فالعطاء مِن غير سؤال ولا حاجة، ففيه نوع تأدب مع شخص الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهنا نلاحظ دقة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبول الألفاظ أو رفضها، فقد عرض ثمامة ثلاثة بنود لا يمكن تمريرها إلا إذا كانت صحيحة

بنسبة مائة بالمائة، فليس مطلوبًا أن يكون القتل أولًا؛ وإنما المطلوب أن يكون مستشعرًا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي يُمكنه العفو عنه أو قتله، فلابد أن يشعر أنه مُدان ويستحق القتل، ولابد أن يفهم أن المسلمين لا يسألونه ماله؛ وإنما هو الذي سيعطيهم إياه إن شاءوا فداءً لنفسه، فدفع المال لمصلحته ابتداءً، فكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دقيقًا في قبول هذه الألفاظ وتحليلها.

فلم يرضَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ثمامة إلا أن يغير تلك النظرة كاملة، فغيَّر نبرة القتل العالية فأصبحت نبرة العفو، فقال: «إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال أعطيتك منه ما تشاء»، بل لقد استشعر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التغيير بوضوح، والمربي يجب عليه أن يراقب أثر جهوده ودعوته على مَن يدعوهم أو يربِّيهم.

فالتفت الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أصحابه وقال: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**».

وهذا قرار مناسب في وقته المناسب، وهذا مِن حكمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يقل: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**» في المرة الثانية، فما زالت نبرة

ثمامة تحتاج إلى تعديل، فلما استوثق أن الثمرة قد طابت، وآن الوقت لقطفها، وأيقن أن ثمامة قد تغير؛ قال: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**».

فإذا أدرك المربي طبيعة مَن يتعامل معه؛ كان مُوفَّقًا في قراءاته وخطواته، فالمربي الذي يتعامل مع سن المراهقة إذا أدرك طبيعة مرحلة المراهقة، وما لها وما عليها، وأدرك طبيعة المراهقين، وما يعانون منه، وكيف يفكرون، وما هي أهم مشاكلهم؛ فإنه سينجح في احتواء هذه المرحلة وحلِّ مشاكلها، وسيجد ثمارًا رائعة مِن وراء هذه المرحلة؛ فإنها مرحلة العطاء والبذل والانتماء.

فالمربي الناجح يعلم متى يُصدر القرار، ومتى يأذن بقطف الثمار، فهو يُتابع من يربيه، ويرتقي به مِن مستوى إلى مستوى، ويزوِّده بالعلوم النافعة والدورات المكثفة التي تنقل له خبرة المربي وفكره، ثم يختبر قدراته وكفاءاته، ثم يوظِّف طاقته في خدمة هذا الدين الحنيف.

فقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتابع ثمامة، وينقله من مرحلة إلى مرحلة، حتى وصل به إلى مرحلةٍ تحوَّل فيها قلب ثمامة، فقال: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**».

لقد شعر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ثمامة قد تغيَّر، وأن هذا التغيُّر قد يكون دافعًا لإسلامه بعد ذلك، فكان إصدار القرار في غاية المناسبة والدقة والبصيرة.

وأما أصحاب المربي وتلامذته فلا يعترضون على أمره، ولا على قراراته، بل يتعلمون منها، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لهم: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**»، فلم يعترض أحد؛ وإنما استجابوا لأمره، وأطلقوه في الحال، وهذه الاستجابة السريعة منهم في مصلحة العملية التربوية والبناء الذي أسَّسه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قلب ثمامة، ولذا كان موقفهم أيضًا دعوة وتربية للآخرين على سرعة الانقياد والسمع والطاعة للمربي الرباني.

وتخيل لو أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**»، ثم تباطأ أحدهم، وذكَّر النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأفعال ثمامة وجرائمه، وأنه لا يستحق هذا العفو؛ تُرى كيف سيكون موقف ثمامة منه بعد إسلامه؟! إذن فلكلِّ مقامٍ مقال.

حق الأمير مع الأسير

وكان من حق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وكذلك الإمام أو القائد- أن يفعل ما يشاء مع الأسرى؛ إما القتل، أو الفداء، أو العفو، أو الاسترقاق، والاسترقاق في حق الأطفال والنساء، ولا يجوز فيه القتل، ويمكن المن.

قال الشافعي: «وأخبرني عدد من أهل العلم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسر عقبة بن أبي معيط يوم بدر فقتله صبرًا -أي: ضربًا بالسيف-، وأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسر سهيل بن عمرو وأبا وادعة ففداهما بأربعة آلاف، وفدى بعضهم بأقل من ذلك، وأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسر أبا عزة الجمحي يوم بدر فمنَّ عليه، ثم أسره يوم أحد فقتله، فكان فيما وصفت مِن فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يدل على أن للإمام إذا أسر رجلًا من المشركين أن يقتل، أو أن يمن عليه بلا شيء، أو أن يفدي بمال يأخذه

منهم، أو أن يفادي بأن يطلق منهم على أن يطلق له بعضهم»؛ كأن يترك واحدًا من المشركين مقابل عشرة من المسلمين.

ولقد أدرك النبي ﷺ شخصية ثمامة؛ فهو شخصية مالكة حاكمة تأبى أن تسلم أو تخضع تحت القهر والذل والأسر، كما أدرك أن التغيير قد أخذ طريقه في قلب ثمامة وفكره وسلوكه، لذلك أمر بإطلاقه، ولاشك أن ذلك يدل على دقة المربي في إصدار قراراته، وتوفيق الله له، وأن الترك أحيانًا يكون إيجابية لا سلبية.

وهنا أمر الحبيب ﷺ بترك ثمامة، وهذا ليس ضعفًا؛ بل هي حكمة الحبيب وبُعد نظره ﷺ.

رحلة الحرية

غادر ثمامة مسجد رسول الله ﷺ ومضى، حتى إذا بلغ نخلًا في حواشي المدينة -بالقرب من البقيع- فيه ماء أناخ راحلته عنده، وخلع ثوب الكفر والجاهلية، وتطهَّر من مائه فأحسن طهوره، ثم عاد أدراجه إلى المسجد وعليه لباس التقوى.

فلما إن بلغه حتى وقف على ملإٍ من المسلمين، وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله».

ما أروع تلك اللحظة التي يتحرَّر فيها العبد مِن أسر الكفر والشرك والشهوة والغفلة، ومِن قيد المعصية والرذيلة، ومِن أغلال الجاهلية ورواسبها! ما أروع تلك اللحظات التي يُولد فيها القلب من جديد، ويخرج من رحم الظلام والشرك والكفر والشهوة إلى نور الإيمان وطاعة الرحمن!

لقد منَّ الله عَزَّوَجَلَّ على ثمامة، وشرح صدره للإسلام، فعاد عودًا حميدًا إلى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ليعلن مِن منبر الحرية أنه عبد لله عَزَّوَجَلَّ، طائع لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، تارك للشرك والوثنية لتوحيد رب البرية.

وأنت -أخي الحبيب- متى تبدأ رحلة الحرية؟

متى تخلع ثوب الجاهلية؟

متى ترتدي حُلَّة البر والتقوى؟

متى تقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه:٨٤]؟



ربط العاصي بالمسجد

لقد عاد ثمامة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مغتسلًا متطهرًا موحدًا، فوقف ونطق الشهادتين، فأين تعلَّم ذلك؟

إنَّ ربط ثمامة بالمسجد أتاح له الفرصة ليتعلم ويتربى وتتهذب أخلاقه، فتعلَّم الفقه والعقيدة والسلوك والشريعة والأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسمع آيات القرآن.

فالمسجد هو الذي يهذِّب ويربِّى ويُصلح، فلما أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إصلاح قلب ثمامة ربطه بالمسجد، فتعلَّم الإسلام والإيمان، ودخل الإسلام.

فالمسجد إذن مدرسة تربوية عظيمة إذا تواجد فيه المربي المُخلِص الذي يربط قلب مَن يدعوه بالمسجد، فأُولى خطوات تقدُّم المدعو الجديد أن يرتبط بالمسجد، فالشاب الشارد أو العاصي لابد أن تُدخله المسجد، وأن تجعله محبوبًا عنده؛ يأوي إليه، ويستريح فيه، ويرجع إليه، ويجد فيه الصحبة الطيبة والأخلاق الحسنة.

ففي المسجد تزول على يد المربي الهموم بإذن الله، وتذهب الغموم والأحزان، ويجد الشاب لمشاكله حلولًا، ولكُرباته تفريجًا وتوجيهًا، ولذنوبه خلاصًا وتوبة وإنابة إلى الله، كيف لا؛ والمسجد بيتُ كل تقي؟!

ففي المسجد يجد الشابُّ المربي الذي يعلمه القرآن، ويؤدِّبه بآداب الإسلام، ويتعلم الدين والشريعة على يديه، ويرتقي المربي به مِن حال إلى حال، ويأخذ بيده لتخطي العقبات التي تحول دون الاستقامة والالتزام.

والشاب الذي يتعلق قلبه بالمساجد يتعود على أداء الصلوات بالمساجد مهما كانت الظروف، ويحرص على إدراك الصلاة في أول وقتها، وقد سُئل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أي الأعمال أفضل؟»، فقال: «**الصَّلَاةُ لِأَوَّلِ وَقْتِهَا**»[(١)].

كما يحرص على إدراك تكبيرة الإحرام والصف الأول، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَلَّى لله أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى؛**

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٦)، والترمذي (١٧٠) من حديث أم فروة بنت أبي قحافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٦٠٧).

كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ»[(١)]، ويحرص على الذكر بعد الصلاة.

لقد كان السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يربُّون أبناءهم على الارتباط بالمسجد، قال أبو الدرداء لابنه: يا بنيَّ، ليكن المسجد بيتك؛ فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ الْمَسَاجِدَ بُيُوتُ الْمُتَّقِينَ، فَمَنْ كَانَتِ الْمَسَاجِدُ بُيُوتَهُ أَتَمَّ اللهُ لَهُ بِالرَّوْحِ وَالرَّحْمَةِ وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى الْجَنَّةِ**»[(٢)].

وكان عبد الله بن الزبير بن العوام يُسمَّى حمامة المسجد.

وكان الربيع بن خثيم يقول: «إني لآنس بصوت عصفور المسجد عن أُنسي بزوجتي».

أما عطاء بن أبي رباح فكان المسجد فراشه عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١)، وابن ماجه (٧٩٨) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٦٥).

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٧١٤٩) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٧٧٩).

قال ابن شوذب: «ربما مشينا مع ثابت البناني فلا يمر بمسجد إلا دخل فصلى فيه».

وقال ربيعة بن يزيد: «ما أذن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة إلا وأنا في المسجد، إلا أن أكون مريضًا أو مسافرًا».

لا يُصنع الأبطال إلا ... في مساجدنا الفساح

في روضة القرآن في ... ظل الأحاديث الصحاح

شعب بغير عقيدة ... ورق يذريه الرياح

من خان حي على الصلاة ... يخون حي على الكفاح

أخي المربي...

يجب عليك أن تربط قلب المتربي بثلاث:

أولًا: ربط قلب المدعو بربه عَزَّوَجَلَّ.

ثانيًا: بنبيه صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ثالثًا: بالمنهج أو الرسالة.

وهذا لا ينفي الارتباط الوجداني بين الداعي أو المربي والمدعو؛ إذ المربي هو الذي يوصل المدعو لهذه المراحل الثلاث من الارتباط بالله عَزَّوَجَلَّ، وبالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبالمنهج أو الرسالة.

والارتباط بالمربي يجب أن يكون ارتباطًا سويًّا منضطبًا بالآداب الشرعية بعيدًا عن آفات التعلق المشبوه، فيجب على المربي الواعي الانتباه إلى التعلق الزائد، ويرَشِّده، ويوجِّهه التوجيه السليم؛ حتى لا يصل الأمر لتعلُّقٍ مرضيٍّ يصل إلى العشق، ويترتب عليه مفاسد عظيمة قد تقضي على المربي والمُتربي والعمل الدعوي.

ولذا نحذِّر المربي من التخلِّي عن الآداب الشرعية أثناء تعامله مع المِردان والمراهقين، كما نحذره من الاسترسال في سماع تفاصيل الذنوب والمعاصي خاصة مِن المدعوين في سن المراهقة، ونحذره من الخلوة بالأمرد أو إطلاق البصر إليه بكثرة؛ ولكن النظر على قدر الحاجة.

كما نؤكد أن المربي يجب أن يكون كالبوصلة يحدد اتجاه النمو والحركة والتقدم بعيدًا عن الآفات؛ حتى تسلم له العملية التربوية، وتؤتي أكلها بإذن الله، والله المستعان.



الاعتزاز بالإسلام

إن المسلم يجب عليه أن يُظهر الاعتزاز بالإسلام، وعدم الخجل من الدين، فيعلنه، ويدعو إليه، ويعيش به.

لقد كان ثمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فخورًا بإسلامه، معتزًّا به، لا يستحيي منه، فلم يُخْفِهِ؛ وإنما أعلنه أمام الناس جميعًا.

اتجه ثمامة إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليتخلص من رواسب الجاهلية، ومن تلك المشاعر القديمة الدفينة التي سكنت كالخفافيش في أعماق قلبه، وليعلن عن تلك الحقائق والمشاعر الجديدة التي توغَّلت واستقرَّت في سُويداء قلبه في أيام قلائل، وكيف كان للإيمان أثره في هذا التغيير العظيم.

قال ثمامة: «يا محمد، والله ما كان على ظهر الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك، وقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليَّ»، فهو يذكر الماضي المُحرق ليتخلص منه إلى مستقبل مشرق.

كان ثمامة يبغض وجه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبلدته ورسالته، ولا يريد رؤيته، وهذا مِن أثر الدعاية الكاذبة مِن المشركين التي

جعلته يبغض كل شيء يتعلق بالدين الجديد «الرسول -الرسالة -المنشأ».

إن الإعلام الفاسد والدعاية الفاسدة تصرف الناس عن الحق، وهي كساحر الملك تزيِّف الحقائق، وتزين الباطل، وتصيب القلوب بالعمى، فإن الإنسان إذا عَمِيَ قلبه لم يحب أن يرى الحق ولا أهله، والمعاصي والذنوب تجعل الإنسان يُبغض أهل الخير والصالحين والمُصَلِّين، ويُصاب بالضيق حينما يراهم.

كذلك كان ثمامة في ضلال وعمى وبُعدٍ عن الحق، ولذلك كان أبغض الوجوه إليه وجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال ثمامة: «ووالله ما كان دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح أحب الدين كله إليَّ»، لقد تغيَّر تغيرًا جذريًّا، وحدث له انقلاب داخلي أعاد القلب إلى فطرته الأولى، وبالقرب والمعاشرة أدرك حُسن هذا الدين، وسماحته، وعلو شأنه.

قال ثمامة: «ووالله ما كان بلد أبغض إليَّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليَّ» سبحان ربي!

ما هذا التحول والتغير العجيب؟!

وصدق الله العظيم القائل لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤].

ووالله إنه لا يمكن أن يكون تغير القلوب أو ثباتها في يد البشر؛ وإنما هو بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بل بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء كما صح ذلك عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(١)]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ الرِّيشَةِ تُقَلِّبُهَا الرِّيَاحُ بِفَلَاةٍ»**[(٢)].

إن العبد لا يملك لنفسه حولًا ولا قوة، وإن العبد قد يكون كارهًا مبغضًا، وبعدها يكون محبًّا لينًا خاضعًا طائعًا لله عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يمكن أن يتغير القلب هذا التغير إلا إذا دخله الإيمان، ودخله النور؛ فقد كان مظلمًا لا نور فيه، ولكن دخله شعاع النور، فالإنسان بلا إيمان قلبٌ لا يفقه، وأذنٌ صماء، وعينٌ عمياء، ويدٌ شلاء.

---

(١) الحديث رواه مسلم (٢٦٥٧) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه ابن ماجه (٨٨) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٣٣).

والمجتمع بلا إيمان كالغابة؛ يأكل القوي فيها الضعيف، وإن لمعت فيه بوارق الحضارة والمدنية فالبقاء فيه للأقوى لا للأفضل والأتقى، إنه مجتمع فيه الشقاء وإن ذَخَر بأدوات الرفاهية والرخاء.

يا شباب الإسلام... تعلموا الإيمان

إن الإيمان وحده هو الذي يحوِّل الظلامَ الدامس إلى نورٍ ساطعٍ، والقلوبَ الميتة إلى ضمائر حية، ويحول العبيدَ ورُعاة الغنم إلى سادة للأمم وقادة في الظُّلَم، ويجعل من المستضعفين قادة للشعوب والأجيال.

ولذا فلن تنهض أمة مِن كبوتها ولن ترتقي بأجيالها مِن هبوط إلا أن يلامس الإيمان شغاف القلوب.

وحقًّا؛ إن هدم الجبال وتحويل مجرى الأنهار وبناء السدود والجسور وتغيير معالم الكون أيسر بكثير من تغيير القلوب والعقول وبناء الأجيال.

والإيمان هو الشيء الوحيد الذي تتغير به القلوب والعقول، فالإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ يصنع الأجيال، ويغيِّر الإنسان، وانظر إلى الصحابة الكرام كيف كانوا قبل الإسلام في جاهلية جهلاء لا قيمة

لهم ولا وزن، ثم بالإيمان تغيَّرت الأحوال، وأصبحت ساق أحدهم أثقل عند الله من جبل أُحد[١]..

بل أصبح دم أحدهم أشد حرمة من البلد الحرام في الشهر الحرام.. بل تتنزل الملائكة لسماع أحدهم «أسيد بن حضير» وهو يتلو آيات القرآن..

ويموت أحدهم «سعد بن معاذ» فيهتز لموته عرش الرحمن.. ويترك أحدهم زوجه ليلة عرسه ويلبي نداء الجهاد فيموت، فتغسِّله الملائكة «حنظلة»، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ صَاحِبَكُمْ تُغَسِّلُهُ الْمَلَائِكَةُ**»[٢].

ويُقتل أحدهم في ساحات القتال «جليبيب»، فيحمله الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على يديه، ليس له سرير إلا ذراعيّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم يضعه في لحده، ويقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَمْسَيْتُ عَنْهُ رَاضِيًا، فَارْضَ عَنْهُ**»[٣].

---

(١) إشارة إلى حديث ابن مسعود.

(٢) رواه الحاكم والبيهقي وحسنه الألباني.

(٣) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» نقلًا عن ابن هشام، وابن القيم في «زاد المعاد»، وابن حجر في «الإصابة».

ويقف أبو بكر وعمر وعثمان مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جبل أحد، فيرتجف بهم الجبل هيبة وإجلالًا، فيقول له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أثْبُتْ أحُدُ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**»(١)..

إنه الإيمان الذي دعا عابد الأوثان «عمرو بن الجموح» إلى أن يشتكي أولاده إذ يمنعوه من القتال بعد إسلامه لعرجته الشديدة فيقول: «إني أحب أن أطأ الجنة بعرجتي»..

لقد ربط النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قلبَ ثمامة في المسجد لكي يدخل النور والإيمان إلى ذلك القلب تدريجيًّا، فيرى ويتأثر ويتغيَّر كل يوم، وتتعدل نبرته وتتطور، حتى أدرك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن قلبه قد نضج، وأنه قد أوشك أن يولد من جديد، وأن هذا مخاض قلب، حينئذ يقول: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**»؛ حتى يُولد هذا القلب في الحرية بعيدًا عن الأسر والعبودية.

فعندما يولد قلب ثمامة الميلاد الجديد فإنه تتغير معه كل المعاني، وكل المفاهيم، وكل القيم، وكل المعايير، فيتغير الحب، ويتغير البغض، وتتغير النبرة، فبعد أن كان يبغض الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٥) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يصبح الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحب الناس إليه، ودينه أحب الدين، وأرضه أحب الأرض وأحب البلاد.

التزامي غيَّر حياتي

وهكذا الإنسان عندما يترك الجاهلية ويهتدي ويلتزم؛ تتغير القيم والمفاهيم والمعايير تمامًا، وأنت تلاحظ ذلك من نفسك قبل التزامك:

لقد كانت لك وجهات نظر في أشياء كثيرة في الحياة؛ فلعلك كنت تستمتع بالغناء والموسيقى، وتقول أنه غذاء الروح وهدوء للأعصاب، وتتغنى بكلمات إذا ذكرتها بعد التزامك استحييت، وأنت أنت اليوم عندما تركب المواصلات وتسمع الأغاني تتأذى، وتحاول دعوة السائق وتذكيره بالله عَزَّوَجَلَّ، وتطلب منه إما إيقاف الأغاني والموسيقى، أو السماح لك بالنزول من السيارة.

إنه الإيمان الذي غيَّر حياتك.

وكأني بك تنظر إلى النساء وعورات الرجال والمواقع الإباحية، وتقول أنك تمتِّع بصرك وفرجك، وأنك تعيش أيام شبابك، وأنك

في سن المراهقة، وأنك تواكب عصرك، وتكَوِّن علاقات مع عشرات الفتيات، وتقول أن نيتك حسنة، وأنهن مثل أخواتك، وإذا أخطأتَ مع إحداهن قلت لنفسك: «هي السبب! هي التي تبدأ! هي التي خرجت من بيتها شبه عارية!».

ثم إنك بعد التزامك تشعر بذلِّ المعصية، وقيد الذنوب، وتحتقر نفسك التي كانت تهيم وتجري وراء الشيطان والشهوات، وتسُب الظلام الذي حملك على فعل المنكرات، وتغض بصرك، وتحفظ فرجك، وتجاهد نفسك، وتقطع علاقاتك مع النساء، وتقلع عن العادة السيئة، والمواقع الإباحية، وغير ذلك من الممارسات المحرمة.

إن التزامك غيَّر حياتك للتي هي أقوم وأحسن إن شاء الله.

وكأني أنظر إليك كنت ترى الالتزام والتدين تقييدًا، أو إرهابًا وتطرفًا، أو جمودًا ورجعية، وأن الملتزم أو الملتحي كتلة من العُقد والمشاكل، ولا علاقة له بدنيا الناس، وأنه مِن عالم آخر لا يفقه شيئًا عن الحياة والتطور والتكنولوجيا و«الإيتيكت»، ثم إذا بك تلتزم وترى ذلك كله لا حقيقة له، ولا أصل له؛ فالالتزام ليس تقييدًا

ولا إرهابًا ولا رجعية، بل الالتزام بالدين قمة التقدم والتحضُّر؛ لأنك ترجع إلى خير قرون البشر، وتحاول تقليدهم والسير على دربهم.

ثم ترى أن الملتزم لا يُعاني من هذه العقد ولا غيرها، ولكنه رجل يبتسم، ويتكلَّم ويتعامل مع الناس بالرفق واللين واللطف، ويخدم الناس، ويسعى في مصالحهم وكشف الهم والغم عنهم بقدر طاقته، يحتسب ذلك عند الله عَزَّوَجَلَّ.

وهو هو الذي يُرهب أعداء الله بالتزامه وتدينه، ويتحرَّى المواطن التي تغيظ الكفار ليبادر إليها، قال تعالى: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌ﴾ [التوبة: ١٢٠].

بل لقد رأيت من الملتزمين من هو على أعلى درجات التقدم العلمي والتكنولوجي؛ فمنهم الأطباء، والمهندسون، والمعلِّمون، والكُتَّاب، والمثقَّفون في كل العلوم، والمبرمجون، والشعراء، والأدباء، والدعاة الربانيون، ووصل الالتزام -بفضل الله- إلى جميع طبقات المجتمع، وغيَّر الالتزام مفاهيم الناس؛ فأصبحوا يعرفون

مَن يحبون ومَن يبغضون، وما هي معايير الحب والبغض، فالحب في الله والبغض في الله، والولاء لله ولرسوله وللمؤمنين.

ونساء المؤمنين

وقد كان الناس منذ زمن قريب حينما يرون امرأة منتقبة في الطريق يُقال عنها: «عفريت أو خيمة متحركة»، ولم تكن المتبرجة تتخيَّل أنها في يوم من الأيام ستكون كذلك.

وبعد أن منَّ الله عليها بارتداء الحجاب أو النقاب شعرت أنها كانت عارية قبل ذلك، وأنها لم تكن حية، وتستحيي من نفسها؛ إذ كانت مثل الدواب والحيوانات التي لا يهمها كشف عوراتها، فلما التزمت واحتجبت شعرت بأن هذا ستر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن هذا ما أمر الله به، ويوم أن يطرق بيتها طارق لا تفتح هي الباب خشية أن يرى يدها رجلٌ، وكذلك حينما تقوم بنشر الثياب بعد غسلها تخشى أن تبدو أصابعها؛ لأنها عرفت قيمة الالتزام والستر والحجاب.

إذن تغيرت النظرة حينما فهمت الدين ومعاني الالتزام، وحينها تعلم أن كل ما كان يُقال عن المحجبات أو المنتقبات كذبٌ وافتراءٌ وإضلال ومحاولة لإبعادها عن الحجاب وعن الاحتشام.

إن أعداء الإسلام يريدونها متبرجة، تلبس البنطال الضيق أضيق ما يكون، وتبدو مفاتن جسدها لتَضِل وتُضِل الشباب وراءها، وتنشر الرذيلة والفاحشة، هذا ما يرجوه أعداء الإسلام.

وبعد التزامها وفهمها ووعيها ترجع إلى نفسها، وتثور فيها التساؤلات: «أين كان عقلي؟ كيف كنت أسير في الطريق بهذا المنظر؟ كيف كنت آلة في يد أعداء ديني وإسلامي؟»، وتستحيي من نفسها كثيرًا، والحمد لله عَزَّوَجَلَّ الذي هداها ومنَّ عليها، وتتيقن وقتها أن التزامها غيَّر حياتها.

شخصية الواجبات

قال ثمامة للنبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لقد كنت أصبت في أصحابك دمًا، فما الذي توجبه عليَّ؟».

إنها شخصية جديدة؛ إنها شخصية الواجبات لا شخصية الحقوق؛ فهو يَسأل عن الواجب عليه، ولا يسأل عن حقِّه؛ فالحق سيأتيه قطعًا.

أما نحن ففي أوقات كثيرة نسأل عن حقوقنا قبل أن نؤدي

واجبنا، فيجب علينا أن نؤدي الواجبات الموكولة إلينا، ثم الحقوق ستصل إلينا لا محالة إن شاء الله.

إن ثمامة يقول: «لقد كنت أصبت في أصحابك دمًا، فما الذي توجبه علي؟»، إنه يفكر في الماضي الأليم، في الذنب القديم؛ ليتوب ويتطهر، فالشعور بالذنب يجب أن يدفع للعمل والتغيير، ولا يدفع للإحباط أو ارتكاب الذنوب.

إن ثمامة كان حريصًا على أن يعرف ما عليه؛ حتى يقوم به ويؤديه.

لم يتكلم ثمامة عن حقوقه؛ وإنما كان يتكلم على جرائمه، لقد بدأ ضميره يستيقظ، وبدأت ملامح التغيير تظهر، فلقد تغيَّرت مفاهيمه، فأدرك أن ما كان يفعله مِن قتل للصحابة إنما هو جريمة يستحق عليها أكبر عقاب، ولذا كان يتأرَّق، لا يخاف أن يقتل؛ وإنما يخاف من العقاب والحساب عند الله عَزَّوَجَلَّ، ويسأل: «ماذا أصنع في كل هذه الدماء المسلمة التي لو أدركتني لأهلكتني ولأوردتني النار مرة أخرى؟! أريد أن أتطهر تمامًا، فما السبيل؟!»، إنها حقًّا ملامح صدق الالتزام، والتدين، والتجرُّد، والفهم العميق للإسلام والعقيدة الصافية.

لا تثريب عليك

لقد كان ثمامة مهمومًا مغمومًا، يشعر وكأن الدنيا أظلمت أمام عينيه لذنبه الذي قد كان منه، متألمًا له، خائفًا مِن أثره.

ويأتي دور المربي الأعظم في احتواء العصاة والمذنبين، وإرشادهم إلى الحق، والأخذ بأيديهم، وعلاج مشاكلهم، وبث الأمل في نفوسهم، فلم يدع اليأس يدبُّ إلى ثمامة ويحطمه؛ وإنما قال له: «**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكَ يَا ثُمَامَةُ؛ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ**».

وكانت تلك المفاجأة التي لم يتوقعها ثمامة، أي: لا لوم عليك، ولا عُتب عليك؛ فإن الإسلام يمحو ما قبله.

«**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكَ يَا ثُمَامَةُ**» كلمة تزيل الهموم والغموم والظلام، كلمة تغمر صاحبها بالحب والرحمة، كلمة للانطلاق وللبدء من جديد.

تلك الكلمة جعلته يدخل في الإسلام بصفحة بيضاء نقية؛ لا هموم، ولا قيود، ولا دماء، ولا ذنوب، كيف لا؛ وقد ولد من جديد؟! ويتوب الله على من تاب، ومن تاب تاب الله عليه.

إن ثمامة وليد اليوم، وصفحته بيضاء، وما فات فقد مضى وانتهى أمره بلا رجعة.

حملة تطهير ولا تثريب

لقد كان ثمامة حريصًا على التطهُّر بصدق، فثمامة لا يرفع شعارات كاذبة؛ وإنما يريد أن يتطهَّر مِن داخله، يريد أن يعرف كل ما عليه مِن الحق ليؤديه.

إن ثمامة صادق في رغبته في التغيير، وفي توبته، وفي إقباله على الله عَزَّوَجَلَّ، والشاب اليوم إذا بدأ خطوات الالتزام لابد أن يسأل عن كل ما يطهِّره مِن رواسب الجاهلية، ويكون جادًّا في التخلص من تلك الرواسب؛ حتى يجد عونَ الله وتوفيقه، ولا يستعصب الأمر، ولا يُهَوِّن مِن قوة نفسه.

إن الذي استطاع أن يأخذ قرار الالتزام قادرٌ -إن شاء الله- أن يتطهر ويترك كل ما يغضب الله عَزَّوَجَلَّ، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨].

بشـــرى

أبشر أيها الشاب الذي تاب وأقلع عن الذنوب والمعاصي وكل ما يغضب الله عَزَّوَجَلَّ...

أبشر يا من حرصت على مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ وطاعته؛ سيجعل الله لك من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، وسيكتب لك الخير بالتزامك...

لقد بشَّر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمامة بالخير الذي كتبه الله عَزَّوَجَلَّ له بإسلامه، فلم يكتف بأن قال له: «**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكَ**»؛ وإنما بشره بأن الله عَزَّوَجَلَّ سيفتح عليه فتحًا عظيمًا بهذا الإسلام الذي التزم به، فالإسلام يَجُبُّ ما قبله.

وهنا انبسطت أسارير ثمامة، وكيف لا تنبسط وقد وُلد من جديد، وبُشر بالخير الكثير؟!

فقال ثمامةُ للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معبرًا عن هذه الفرحة: «والله لأصيبن مِن المشركين أضعاف ما أصبت مِن أصحابك، ولأضعن نفسي وسيفي ومَن معي في نصرتك ونصرة دينك».

لقد كان كلام ثمامة وتعليقه على هذه البشرى واضحًا محددًا؛ فقد وضع أمامه هدفين:

الأول: إصابة المشركين.

والثاني: نصرة الدين.

وهذه حال النفوس الصادقة التي تشعر بتفريطها وتقصيرها فيما مضى في الغالب، فتحاول أن تُدرك ما فات.

ومثل هذا فعله أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أسلم وأبصر نفسه في آخر الركب، قال: «فعزمت على أن أدرك الركب وأسبقهم»، وقد كان، وأصبح في المقدمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهنا يعزم ثمامة على أن يبذل لحرب المشركين أضعاف الجهد الذي بذله لحرب الإسلام؛ رغبةً منه في كمال توبته وإيجابيته في العمل الإسلامي.

وقد ترى أحيانًا مثل ذلك في هذا العصر؛ فإن الأخ إذا كان حديث عهد بالتزام؛ فإن همته تسمو إلى فعل الكثير من الطاعات؛ فيواظب على الصلاة في أوقاتها، ويحافظ على تكبيرة الإحرام، والخشوع في الصلاة، وقراءة القرآن، وذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وقيام الليل،

والصيام، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، وزيارة أقربائه وأصدقائه، ويقلع عن كل صور الانحراف السابقة، ويتحرر بقوَّة من رواسب الجاهلية، ويتحرَّى الخير، ويسأل عن البداية؛ لأنه يتغير، ويسعى نحو التغيير بسرعة وشغف، ويشعر بلذة في هذا الالتزام بمعانيه الجديدة، ويريد أن يدرك ما فاته من خير، ولذلك تجده أنموذجًا فريدًا، وكله نشاط وحركة وبذل في سبيل هذا الدين، وتلحظ الإخلاص في قوله وعمله.

ودائمًا ما تجد الأخ حديث الالتزام باحثًا عن أبواب الخير حتى يأتيها ولا يفرِّط فيها، فيَسمع أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أصبح صائمًا، وقد عاد مريضًا، وشيَّع جنازة، وأطعم مسكينًا، وتصدق بصدقة، فتجده يحرص على أن تجتمع فيه هذه الأشياء حتى يدخل من أي أبواب الجنة الثمانية شاء، وتجده يسمع الآية فيسأل عن معناها، ويحرص على العمل بها، ويسمع حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيحرص على تطبيقه، والعمل به.

ولابد للإنسان أن يكون صاحب همة متجددة، وأن يعرف دائمًا أن هدفه مرضات ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأن هذا هدف لا يتوقف؛

بل يحتاج إلى البذل اليومي حتى تقترب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾ [العلق:١٩]، فكلما سجدت اقتربت، وكلما سجد العبد وأطاع وتقرَّب كلما ارتفع، فتقترب من ربك بالطاعة والعبادة، فأنت كل يوم في حاجة إلى التقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بطاعته، إذن فلابد أن تكون الطاعة متجددة.

كما تجد الأخ في بداية التزامه يحرص على دعوة الآخرين، وكلما مرَّ على أحد يرتكب خطأ نصحه ووعظه، ويأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر، ويكون شغله في النشاط والعمل لخدمة دين الله عَزَّوَجَلَّ، وفي الحفظ والدراسة، وترك المنكرات.

ولكن البعض -ممَّن لا يواظبون على الرُّقي والسُّمُو، ومواصلة العلم والعمل، ولا يصبرون على الطاعات- لا يلبث غير بعيد حتى يَكْسُل عن فعل الخيرات، والمواظبة على الطاعات، ولا ينهى عن منكر يراه.

لماذا؟

هل فقد أعوان الخير والصحبة الطيبة، أم رضي بالمنكر، أم اعتاد عليه، أم أنه ما عاد يتأثر به؟

لماذا لم يتمعر وجهه ويتغيَّر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ لماذا لم يهتز قلبه غضبًا لانتهاك حرمات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ إنه إذن على خطر.

إنها آفة خطيرة تطعن في النيات، ولابد أن يبحث الإنسان في أسباب هذا الفتور الذي حصل في قلبه، ولابد أن يبحث كل منا عن سبب الفتور مِن نفسه، وأن يجدد الإيمان والنشاط في القلوب، فالعبد يحتاج إلى الطاعة دائمًا حتى يكون قريبًا من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والمستغني عن الطاعة كالمسغني عن ربه.

جددوا الإيمان

فيا شباب الإسلام، جدِّدوا الإيمان في قلوبكم، وراجعوا نواياكم وحسِّنوها، وذكِّروا أنفسكم أنكم تركتم الذنوب والمعاصي لله عَزَّوَجَلَّ وابتغاء مرضاته، وأن كل طاعة إنما هي ابتغاء وجه الله عَزَّوَجَلَّ، فبرود جذوة الإيمان والالتزام في القلب يحتاج لتوبة، كما يحتاج لعلو الهمة في الطاعة والعبادة والعمل لدين الله عَزَّوَجَلَّ.

وتيقنوا يا شباب الإسلام أن أحدًا منَّا لم يضمن الجنة، ولو ضمنها ما حُقَّ له أن يستريح، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»[(١)].

(١) رواه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨٢١) من حديث المغيرة بن شُعبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فجدِّدوا الإيمان في قلوبكم، وأعيدوا النظر في قصدكم وأعمالكم، فالإيمان هو التطبيق الفعلي للإسلام، فمَن أسلم بلسانه؛ لابد أن يُصدِّق بقلبه ويعمل بجوارحه حتى يكون مؤمنًا، «**قُلْ: آمَنْتُ بِالله ثُمَّ اسْتَقِمْ**»[(١)].

والإيمان الحقيقي يُوَلِّدُ في القلب حلاوة تجعل صاحبها لا ينفكُّ عن تحصيل أسبابها، والإيمان يزيد وينقص، كما قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لقيتُ أكثر من ألفٍ من العلماء بالأمصار، فما رأيتُ أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان قولٌ وعملٌ ويزيد وينقص».

فيا شباب الدعوة ويا شباب الأمة، جدِّدوا الإيمان في قلوبكم، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الخَلِقُ، فَاسْأَلُوا الله أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ**»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (٤١) من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه الحاكم (١/ ٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٥٩٠).



محاور الخدمة

قال ثمامة: «لأضعن نفسي وسيفي ومَن معي في نصرتك ونصرة دينك»، فالمسلم يجب عليه أن يخدم دينه وينصره بكل ما يملك من طاقة وإمكانيات: «النفس -الإمكانات -الأصدقاء».

وثمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُسخِّر كل إمكانياته في خدمة الدين وخدمة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيبذل نفسه لله عَزَّوَجَلَّ، فيجاهد في سبيل الله، ويتحرك في سبيل الله، ويدعو إلى الله، ينتقل من هنا إلى هناك عملًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيتحرك بنفسه، ويبذل جهده وماله ووقته في سبيل الله تعالى.

كذلك يبذل مِن سيفه وإمكانياته، وما يملك مِن وسائل، وليس المقصود القتال بالسيف وحسب، فربما كان صاحب قلمٍ يكتب، فكم نسمع عن مقالات وكتابات قاتلة تطعن في الإسلام، وأقلام مسمومة مأجورة تكتب ضد الإسلام، بل تسب أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المكرَّمين الذين مدحهم الله عَزَّوَجَلَّ في التوراة والإنجيل والقرآن، وكم مِن أقلام تطعن في علماء السنة وأعلامها،

وتشكِّك في معتقدهم ومنهجهم، وهذه الأقلام المسمومة المأجورة تحتاج إلى أقلام تردعها وترد عليها، فسخِّر قلمك وعقلك وفؤادك للرد عليها.

وكذلك على مواقع «الإنترنت» ترى المنصِّرين الكفرة يدخلون ويشكِّكون في الإسلام، فيأتون بالآيات المتشابهة التي فيها معانٍ قد تختلف على عامة الناس، ويشكِّكون عوام الناس في دينهم، وعوامُّ الناسِ بسطاء، فيحتاج الأمر إلى ردٍّ ودفاع.

وفي هذه الأماكن والمواطن: مَن الذي يدافع عن الدين فيها؟ فلابد أن تسخِّر يدك ولسانك وقلمك وكل ما تملك لنصرة الدين، فقد تكون خطيبًا بارعًا، فتقف وتُعَرِّف الناس بالإسلام، وتدعو إليه، وتدافع عنه، كما كان يفعل الشيخ أحمد ديدات رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلقد أسلم على يديه الآلاف، فرحمة الله عليه.

قال ثمامة: «بنفسي وسيفي ومن معي»، فإذا كانت جهودك ضعيفة، وليس لديك الجهد أو المال أو الوقت لتبذله، لكن لك صديق لديه ذلك؛ فلماذا لا تدفعه إلى البذل؟ لماذا لا تحرِّكه إلى طرق

الإنفاق والعمل الصالح؟ فلابد للإنسان الملتزم وهو في طريقه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يأخذ كل الأسباب التي تنصر هذا الدين.

لقد أدرك ثمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الأمر يحتاج إلى بذل عظيم، فلذلك قال: «ولأضعن نفسي وسيفي ومَن معي في نصرتك ونصرة دينك».

فهل شعر أحدُنا بثقل المسئولية والأمانة؟ وهل وضع كل منا كل ما يملك من جهد، ومال، ووقت، وعلم، وجاه، وسلطان، وغيرها في خدمة دين الله؟

إن ثمامة كان حريصًا على نصرة الداعي ومنهجه، والدفاع عن الرسول والرسالة، فيدافع عنهما معًا، ويبذل لهما جميعًا، وهذه الدعوة لا تتوقف بتوقف الدعاة والعاملين؛ فهي ربانية، وهذا الدين لم يتوقف حتى بموت الأنبياء؛ إذ الدين دين الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الصف:٨].

ولذلك تجد نماذج فريدة لمن يحمل همَّ الحفاظ على الدين حال حياته، ويعمل على الحفاظ عليه بعد مماته من خلال التوريث الشرعي لهذه الرسالة، فهذا نبي الله زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يسأل ربَّه الولد بعد كبر سِن

وامرأة عاقر، ولم يطلب الولد لشهوة؛ بل لاستمرار الخير في الأمة، ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم:٦].

وهذا أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وانطلاقًا من مبدأ الحرص على استمرار الدين وبقاء العمل للدين يقول: «أينقص الدين وأنا حي؟!»، أي: لا ينقص الدين وأنا حي.

وقد حفظ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ القرآن والسنة، وصار هذا الدين محفوظًا بأصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، إذن فهناك أجيال تحمي هذا الدين وهذا المنهج مِن محاولات التخريب والإفساد التي يتعرض لها عبر التاريخ والعصور.

وكثيرًا ما يدَّعون: إن الإسلام قد انتشر بحد السيف!! أو أن الفقراء الذين لم يمكنوا من دفع الجزية هم الذين دخلوا في الإسلام!! وكذبوا، وينسون المجازر التي حدثت على أيدي النصارى في رواندا بين الطوائف النصرانية حتى هرب النصارى واحتموا في معسكرات المسلمين في راوندا، وبعدها زاد عدد المسلمين من مائتي ألف إلى أربعة ملايين من تعداد راوندا الذي يبلغ سبعة ملايين، أي أن المسلمين صاروا أكثر من النصارى.

وتختلف اليوم صور المجازر التي تحدث الآن على أيدي الذين يحملون الصليب، بل اختطاف من يُسلم منهم وحبسه في الأديرة حيث التعذيب حتى يرجع إلى النصرانية أو يموت، فينسون كل هذا ويدَّعون أن الإسلام انتشر بحد السيف في محاولات لتشويه هذا الدين، وكذبوا في زعمهم؛ فأين انتشر الإسلام بحد السيف؟!

وأحيانًا يشوِّهون صورة أصحاب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حملة هذا الدين إلينا، كما تفعل الشيعة الباطنية والاثنى عشرية الصناعة اليهودية -قبحهم الله-، وغيرهم من الطوائف الشيعية التي تسب أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزوجات أمهات المؤمنين وعلى رأسهم الصدِّيقة بنت الصدِّيق المبرأة من فوق سبع سماوات عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فبتشويه صورتهم يتشوَّه الدين، وتسقط أجزاء كثيرة جدًّا من الشريعة.

إذن فالدين يتعرض لهجمات شديدة وشرسة جدًّا من أعداء الإسلام؛ يهودًا كانوا، أو نصارى، أو شيعة، أو علمانيين.

وكذلك الدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ معرَّضون لمثل هذه الهجمات بدافع التشويه، فأعداء الإسلام يشوِّهون الرسالة وحاملَها، فكل

داعٍ يظهر تُشَنُّ عليه حملة من الافتراءات والكذب والاعتداءات عليه بالسب وغيره؛ في محاولة لتحطيم الرموز والصور التي تحمل لواء الإسلام وتتحرك به، فما من داعٍ مخلص يقوم ويتكلم إلا وتجد أن الإعلام كله يتوجه إليه ينقضه، ويهاجمه، ويشوِّه صورته، ويحاول تحطيمه.

فأعداء الإسلام يحاولون تشويه الداعي وتشويه الدعوة، فيصفونها بالعنف والإرهاب والتطرف؛ حتى يبتعد عنها الناس وينفرون منها، فتجد بعض الآباء حينما يسمعون مثل هذه التهديدات ينصحون أبناءهم أن لا يقربوا المساجد، وأن يتركوا صحبة أهل المسجد، فيحطِّم ولدَه، ويضع الأسوار العازلة بين ولده والالتزام.

فبعد أن كاد الولد يستقيم ويدخل المسجد؛ إذا به ينحرف وينجرف إلى الانحرافات الجنسية، والممارسات الشاذة من زنا ولواط واستمناء، وسقوط في شباك الأفلام الساقطة الفاضحة، بل قد يسقط في هوة تعاطي المخدرات والإدمان، فيتقطع الأب بعدها على ولده حسرات، وتتمزق الأسر والمجتمعات، وينهار المجتمع المسلم، وهذا مِن أعظم أهدافهم.

وصوت ثمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أعماق التاريخ يحرِّض الأمة أن تبذل نفسها وسيفها ومَن معها لخدمة هذا الدين ونصرته، ابذل كل ما تملكه، فإذا كنت تكتب فلتكتب، وإذا كنتَ تتكلم فامض في كلامك، المهم أن تبذل كل ما تستطيع بذله.

لا تقل: «لا أستطيع»؛ بل اكتشف نفسك، وحدِّد ما تستطيع بذله، ولا تحقر دورك، وتذكر هذا المثل الذي يقول:

كان حجر صغير في سد كبير على رأس مدينة يحجز عنها الماء، فاحتقر هذا الحجر دوره، فانتحر الحجر، فانهمر الماء، وانهار السد، وغرقت المدينة.

فلا تكن كهذا الحجر في تفكيره وتحقير دوره وأهميته، فكل مسلم يمكن أن يبذل ويخدم، فلا تحتقر دورك، بل اكتشف نفسك، أو ليكتشفك غيرك؛ لتبذل بإذن الله تعالى.



قال ثمامة: «يا رسول الله، إن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة؛ فماذا ترى أن أفعل؟»، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**امْضِ لِعُمْرَتِكَ وَلَكِنْ عَلَى شَرِيعَةِ الله وَرَسُولِهِ**».

كيف وصل ثمامة إلى هذا المستوى من الاحترام والتوقير والأدب في مخاطبة الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

إنه الإيمان وأثر الإحسان، فالإحسان من عناصر التربية الواعية، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، والإحسان مع ثمامة لم يكن بالمال والطعام والشراب فحسب؛ بل كان بحسن معاملة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له، وصبره عليه، وحلمه وعفوه، ولم يكن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقتها حريصًا على كسب الموقف؛ لكنه كان حريصًا على كسب الشخص نفسه، وقد كان، والحمد لله رب العالمين.

ثم إن التيسير على المدعو وفتح أبواب الرجاء أمامه مِن أكبر عوامل ثباته وحبه للداعي الذي فتح له الأبواب، ولذا كان قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لثمامة: «**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكَ يَا ثُمَامَةُ**» بمثابة المفتاح الذي فتح قلب ثمامة لحب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مصراعيه، فدخل حب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحترامه وتقديره في قلب ثمامة، فقال: «يا رسول الله»، فهي كلمة نابعة من قلب ينبض بحب صادق،

وقد كان قبل ذلك يقول بجفاء وغلظة: «يا محمد» غير متأدب مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما الآن وقد تغلغل الحب في قلبه حتى بلغ السويداء منه صار يقول: «يا رسول الله»، فالله أكبر... الله أكبر، مُغيِّر القلوب ومقلِّبها، الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو على كل شيء قدير.



أين الأدب مع العلماء؟

ولابد هنا أن نقف وقفة، فأحيانًا لا يتأدب بعض إخواننا مع علمائه ومشايخه، وهذه أزمة كبيرة، وسوء أدب، وجفاء، وقلة وفاء، فأمام الشيخ يقول: «يا شيخ» و«يا فضيلة الشيخ»، وحينما يكون وسط أصدقائه وإخوانه يتجرد مِن الأدب، ويتعرَّى منه، فيقول: «حضرت درس فلان»، أو «سمعت شريط فلان»، دون مراعاة لسنٍّ، ولا علم، ولا قدر، ولا سبق.

لقد كان ثمامة وهو حديث عهد بالإسلام أعظم أدبًا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممَّن وُلدوا لآباء مسلمين الآن مع علمائهم!

أين الأدب؟! إن هذا من سوء الأدب، وسوء الخلق، وسوء التربية، أين الحب والاحترام للعلماء والدعاة؟ لماذا لا تتأدب معهم فتقول: «حضرت للشيخ فلان، أو للأخ فلان»؟

ثم الذين يتجرؤون ويخوضون في أعراض العلماء ألا يخافون الله عَزَّوَجَلَّ، ويراعون حرمة العلماء وعلمهم وبذلهم وسبقهم؟ فإن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في منتهكيها معلومة، ومَن تناول العلماء بالثلب عوقب قبل موته بموت القلب، فليحذروا، وليرتدعوا، ولينشغلوا بإصلاح أنفسهم.

فماذا ترى؟!

لقد أدرك ثمامة مكانة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما أدرك أن هذه الدولة الوليدة لها نظام وإدارة، فقال للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا رسول الله، إن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة؛ فماذا ترى أن أفعل؟».

فثمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سلَّم أمره للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبعد أن كان قائدًا يُصدر الأوامر صار الآن يشعر بأنه جندي في عمل كبير، ينتظر الإذن والأمر.

لقد أصبح عنصرًا في عمل جماعي لا يمكن له أن يتحرك وحده رغم أنها طاعة، ولكنه يستأذن في أدائها، ويشعر وكأنه ترس في آلة له دور، ولا يصلح أن يدور وحده وقتما شاء وكيفما شاء؛ بل لابد أن يكون بإرشاد قائده أو إخوانه ومعلميه ومشايخه، ولذلك يسأل القائد والمربي: «فماذا ترى أن أفعل؟»، هل أذهب أم لا؟ وهذا يؤكد استيعابه لقضية العمل الجماعي وآدابه، ومنها: الاستئذان، والسمع والطاعة.

وفي هذا إشارة إلى أنه يُحِب أن يتم العمرة، وأنه ما زال حريصًا على أداء العمرة، لكنه لم يقل: «يا رسول الله، أنا سأذهب إلى العمرة»؛ بل يعرض رغبته، وينتظر الرد بالقبول أو الرفض.

فليس معنى استئذانك أنك قد حصلت على الموافقة؛ ولكن الاستئذان يعني انتظار السماح والموافقة بالفعل أو عدمه.

أما ثمامة فلن يقطع أمرًا دون الرجوع إلى قائده ومعلمه ومربيه، بل يقول: «كنت أريد العمرة»، فهذا ثمامة يستأذن في كل شيء حتى العمرة، ويرى أنه لا ينبغي له أن يتحرك الآن من غير أن يرجع إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



همسة في أذن المربي

لقد كان ثمامة مستسلمًا تمامًا لأمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع إبداء رغبته في إتمام الطاعة، ومِن محاور التربية الواعية التربيةُ الإيمانيةُ، فعلى الداعي إلى الله عَزَّوَجَلَّ أو المربي أن يكون حريصًا على أن لا يَنقض العبادات والطاعات لمن أراد أن يُنشئها أو يُتمها، بل يُعِين على أدائها، وينظِّمها لهم، إلا إن كان هناك ضرر يحيط بهم؛ فينصحهم بالرجوع أو غيره، وعلى المربي عمومًا أن يضع البرامج التربوية التي تعمل على بناء شخصية المسلم، وتساعد على ثباته وارتقائه، فما أحوجنا إلى تربية جيل سلفي رباني متميز نحقق به النصر لأمتنا إن شاء الله.

ومن مهام المربي تربية انفعالات المتربي وتوجيهها، والوصول به إلى مستوى عالٍ في العلم والعمل والعبادة والسلوك، فالارتقاء بالمتربي وإصلاحه ووقايته من الزلل مِن أهداف المربي، والمربي ليس شرطيًّا يتعامل مع الأخطاء بالعقاب فحسب؛ بل هو مربٍّ يعالج الأخطاء، وينمِّي الصواب ويطوِّره.

ولذا يجب علينا أن نهتم بإيجاد المربي الرباني الذي يفهم رسالته؛ حتى يساعد على تحقيق الرقي، والتقدم، والتمكين لأمتنا.

فثمامة في انتظار رأي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يتصرف كما يشاء مِن تلقاء نفسه؛ بل يعرض الأمر على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويؤكد على أنه في انتظار الرأي والأمر، فاستشارة المربي والرجوع إليه هو الأصلح والأنفع بإذن الله، والمربي يتحرَّى البر بأبنائه، والإحسان إليهم، وتطويرهم، وتصويب أخطائهم.



على شرعة الله ورسوله

لقد جاء قرار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داعمًا وبانيًا وموجِّهًا؛ فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لثمامة: «**امْضِ لِأَدَاءِ عُمْرَتِكَ وَلَكِنْ عَلَى شِرْعَةِ الله وَرَسُولِهِ**».

إن هذا الشرط هو العمود الفقاري لأي عملية تغيير؛ فالتغيير لا يصلح إلا على أساسه ولإقامته، فأي شاب يريد أن يتغير أو أي فتاة تريد أن تتغير أو أي إنسان يريد أن يتغير لابد أن يكون المحور الأساسي الذي يغيِّر عليه هو موافقة شريعة الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإن أي تغيير بعيدًا عن توجيهات الشرع وأوامره ليس بتغيير مقبول، فالتغيير حسب الموضة واتباع الغرب أو الشرق ليس بتغيير؛ إنما التغيير كما قال الحبيب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَى شِرْعَةِ الله وَرَسُولِهِ**»، وقد قال تعالى: ﴿**وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ**﴾ [النور:٥٤].

إذن ليذهب ثمامة لإتمام العمرة، ولكن بأي نظام؟ بالنظام الجاهلي؟ أم بالنظام الإسلامي؟ بالدين القديم أم بالدين الجديد؟ بالفكر القديم أم بالفكر الجديد؟ بالجاهلية أم بالإسلام؟

فمن التزم وأراد أن يقيم حفل زواجه فأين يقيمه؟ هل يقيمه في أماكن اللهو والجاهلية حيث التبرج والاختلاط والموسيقى والأغاني والخلاعة، أم يقيمه في مكان لا اختلاط فيه ولا باطل كالمسجد مثلًا، أو في قاعة لا اختلاط فيها ولا تبرج ولا مخالفات للشرع؟

ولابد للإنسان عندما يلتزم أن يعرض نفسه وأعماله كلها على محور التغيير الأساسي؛ شريعة الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكل هذه الأعمال قابلة للتغيير: فرحك، أو حزنك، أو تصوراتك، أو آراؤك، أو أفكارك، وأهدافك، إذن حينما تلتزم فلابد أن تنظر إلى جميع

طاعاتك، وحركاتك، وسكناتك؛ لتكون وفق ما جاء به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبعد الالتزام تتغير برامج الحياة في الأفراح والأحزان وكافة شئون الحياة.

ومما لابد من تغييره أصدقاؤك وقرناؤك؛ أين كنت تتنزه معهم؟ والآن أين تذهب؟ فقبل التزامك كان معروفًا أنهم يشربون الدخان، ويقعون في معاكسات الفتيات، وهذه الأشياء لها أماكنها، وكل مَن يريد منها شيئًا يعرف طريقه، أما إذا أردت بعد الالتزام أن تخرج لتتنزه؛ هل ستذهب معهم إلى هذه الأماكن أيضًا؟ كلا، إذن فلابد أن تغير هذه الرفقة أو يتغيروا مثلك.

لابد لهذا الليل من آخر

نعم لابد لهذا الليل من آخر، لابد لهذه الذنوب والمعاصي من آخر، لابد للعادات السيئة والفواحش والمنكرات من آخر، لابد للظلام الذي في قلوبنا وأخلاقنا من آخر.

لابد مِن حملة للتغيير، وتكون على شرعة الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل شيء: في حياتك، في أفكارك، في كلماتك، في

ثوبك وشكلك، فلابد أن تعرض كل ذلك على شرعة الله ورسوله ﷺ، وتنظر: هل هو مُرضٍ لله عَزَّوَجَلَّ أم غير مُرضٍ؟

تجد الموضات الحديثة قد أصبحت مخلة بالآداب، فتجد الشاب يلبس البنطال يكاد يسقط منه، ومكتوب عليه من الخلف كلامًا بالإنجليزية يدعو إلى الانحراف والشذوذ، وكذلك من يقص شعره حسب قصَّات الغرب الكافر متمثلًا بفلان أو فلان من الكفرة الفجرة.

لماذا هذه التبعية للغرب؟ قال ﷺ: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ**»، قالوا: «يا رسول الله، اليهود والنصارى؟»، قال «**فَمَنْ؟!**»[(١)].

لابد أن يعرض الإنسان كل حياته على شرعة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، ويتخلص من رواسب الجاهلية، وإن لم يفعل؛ فإن ما بداخله مِن تلك الرواسب سيعمل على هدمه مِن الداخل.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٧١) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فمن ادَّعى الالتزام ولم يترك ما عليه من فساد وانحراف في الأخلاق والسلوك والمعاملات والعقائد، ولم يدع المواقع الإباحية ولا العادات السيئة التي يفعلها، ولم يترك الصحبة الفاسدة وصحبة البنات، ولم يترك العلاقات الشاذة والمشبوهة، ولم يترك الغناء والانجراف خلف الموضة وخلف الغرب أو الشرق، ولم يترك الربا والمخدرات والأفكار الفاسدة؛ فإن كل هذا سيهدمه من الداخل، وسرعان ما يعود أسوأ مما كان، والله أعلم.

فلنتغير على شريعة الله في كل حياتنا، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام].

ولنضرب مثالًا يوضح هذا الأمر ويبينه؛ فهذه قطعة خشب نخر فيها السوس، فقمت بمعالجتها بطريقة سطحية بأن وضعت عليها بعض المعجون على الثقوب التي سببها السوس، ثم طليتها ببعض الدهانات الجميلة، وظننت أنك قد أصلحتها، ولكن ما زال السوس ينخر في داخلها، وبعد زمن تصبح ترابًا.

وهكذا الجاهلية في قلبك؛ إذا تركتها فستظل تنخر في داخلك، حتى تجعلك هيكلًا في الظاهر ولا يوجد في داخلك أي مَعْلمٍ من معالِمِ الالتزام والتدين أو الإسلام.

تجذير الالتزام في قلوب الشباب

إننا بحاجة أن يضرب الالتزام بجذوره في قلوب أبناء أمتنا وشبابها، ولذلك نقول: إننا نحتاج إلى تغيير جذري وبرفق عندما ندخل في الالتزام، فلابد من تجذير الإسلام ومبادئه في الحياة، فنجعل للأسس والمبادئ الدينية جذورًا في أعماق قلوبنا بحيث إذا قُطِعَت مظاهرها تبقى الجذور موجودة.

وكثيرًا ما تكون واثقًا من تدينك عاملًا بدينك، فتقابل عاصفة، فتترك بعض ملامح الالتزام نتيجة للضغوط، فقد يُضغط عليك لترك مظهر من مظاهر الالتزام كاللحية مثلًا أو النقاب، لكن هل معنى هذا أنك تركت التزامك؟ لا، ليس كذلك، مع أن حلق اللحية محرَّم، وأنت تؤمن بذلك.

أما إذا كان قلبك فارغًا لا جذور للإيمان فيه فبمجرد أن حلقتَ لحيتك بسبب عارض قاهر يكون أمرك قد انتهى، وتخلع مع

ثوبك الالتزام، أو تحلق مع اللحية الالتزام، ولو كان الالتزام مُجذرًا في قلبك؛ فمهما حاول الأعداء قلعه من قلبك فلن يتمكنوا إلا مِن قطع مظاهره فقط.

ولابد من التوازن في هذا الأمر؛ فإذا تركت شيئًا من مظاهر الالتزام اضطرارًا؛ فلا تستهن بالذنب بعد ذلك، ولا تترك التزامك كذلك من أجل ذلك الذنب.

وفي نفس الوقت فنحن لا نريد صورًا ملتزمة جوفاء وهي في حقيقة الأمر في جاهلية عمياء ما زالت تسبح في ظلام الجاهلية بأخلاقها وسلوكها ومعاملاتها؛ فيبدو الشخص كأنه متدين، ثم إذا وُضع تحت ضغط أو احتكاك أو اختبار ظهرت أخلاق الشارع، وإذا دخل في خلاف عائلي ظهرت فيه سلوكيات وألفاظ الجاهلية الحمقاء، فلا تكاد ترى العدل والإنصاف، بل ترى الظلم والطغيان والعمى عن الحق.

إننا لا نريد مثل هذه الشخصيات، ولا مثل هذا الالتزام الأجوف؛ نريد أن نتغير، ويتغير مجتمعنا معنا على شريعة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

امضِ لأداء عمرتك

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لثمامة: «**امْضِ لِأَدَاءِ عُمْرَتِكَ وَلَكِنْ عَلَى شِرْعَةِ الله وَرَسُولِهِ**»، وعلَّمه ما يقوم به من المناسك.

فثمامة لا يعرف مناسك العمرة في شريعة الإسلام، فلم يرها أمامه وهو في قيده بالمسجد، فعلَّمه كيفية أداء هذه العمرة.

وهذا يؤكد أهمية وضرورة العلم خاصة لمن التزم حديثًا؛ حتى لا يعبد الله على جهل، وهذا من أبرز أدوار المربِّي؛ أن يعلِّمه ويضع قدمه على طريق العلم والعمل والهداية، ويتابعه في ذلك كله، ويصبر عليه، فيُنصح بأن يلزم المسجد، وأن يتعلم أولًا كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم يتعلم الشريعة من العقيدة والفقه وما يلزمه في حياته، وأن يكون ذلك بدراسة منهجية يتعلم منها ما لا يسع المسلم جهله، وليس معنى ذلك أن ينقطع إلى المصحف فقط لا يتعلم غيره حتى يختمه؛ بل يقرأ، ويحفظ، ويحضر الدروس ليتعلم، وفي أثناء ذلك يتعلم كيف يتوضأ ويصلي، وينمو نموًّا شاملًا متوازنًا.

على أبواب مكة

مضى ثمامة إلى غايته، حتى إذا بلغ بطن مكة؛ وقف ينادي بأعلى صوته قائلًا: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

فكان أول مسلم يدخل مكة ملبيًا معتزًّا بإسلامه وبانتمائه، يدعو إليه، ويرفع صوته به، وكان قبله مسلمون كثيرون، لكن هذا الفضل هو فضل الله يؤتيه من يشاء، ويدَّخره الله عَزَّوَجَلَّ لمن يشاء. فهل أُغلق باب الأولية بحيث لا يصلح أن يكون بيننا أول مَن فعل شيئًا؟

نقول: لا؛ فالباب مفتوح، والله عَزَّوَجَلَّ ذو الفضل العظيم، ويؤتي مِن فضله ما يشاء لمن يشاء، فيمكن في لحظة أن يفتح عليك باب خير عظيم ما كان يتخيله أحد.

فمِن الأشياء العجيبة ما حدث في عرفات، وعرفات معروفة بشدة الحر في أثناء موسم الحج، فلا شجرة، ولا نخلة، ولا مظلة، تخيل أنه منذ عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عهود قريبة جدًّا لم يكن فيها إلا

شجيرات، ثم وفَّق الله رجلًا من أهل الخير يقف ويقول: «ما المانع من أن أغرس هنا شجرًا يقي الناس مِن حر الشمس؟»، وهذا في القرن الرابع عشر الهجري، فيغرس الشجر، ويرويه، ويعتني به، فينمو، ويكون له ظل يجلس الناس تحته في منى وعرفات، ويكون أول من غرس الأشجار بعرفة ليستظل بها الناس، وهذه الأولية أتته في القرن الرابع عشر، فكيف ادُّخِر هذا الخير له على مر هذه العصور؟ ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١].

وفي الحرم الشريف في مكة المكرمة حَفل بيت الله الحرام بعدة توسعات مباركة -إن شاء الله-، وكذلك مسجد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في المدينة المنورة، ولكن مَن أول مَن فكَّر في إزالة الجبال لتوسعة الحرم؟ ومَن أول من فكَّر في إنشاء عدة طوابق للسعي بين الصفا والمروة؟ وغير ذلك كثير إن شاء الله.

إذن فأبواب الخير لا تغلق، فليجتهد الإنسان في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وليفكر دائمًا في عمل الطاعات، وأن يكون له السبق، ولِمَ لا يكون لك خبءٌ من عمل صالح تكون أنت أول من يعمله موافقًا لشريعة الله عَزَّوَجَلَّ ولهدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؟

فلا تيأس؛ لعل الله عَزَّوَجَلَّ قد ادخر لك شيئًا عظيمًا، وتكون أنت أول من يفعل هذا الشيء.

وقد حدثني أحد إخواني أنه قام بتحفيظ بعض الأبناء في الصحراء مائة حديث، وأقام لهم حفلًا لتكريم حفظة حديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له أحد الموجودين بالمكان: «إن هذه سابقة في تاريخ الصحراء».

أخي الحبيب.. فكِّر في خدمة دينك؛ ستجد أشياء كثيرة قد تكون صاحب السبق فيها بإذن الله تعالى.



صوت الحق

سمعت قريش صوت التلبية، فهبَّت مغضبة مذعورة، واستلت السيوف من أغمادها، واتجهت نحو الصوت لتبطش بهذا الذي اقتحم عليها من عرينها.

ودائمًا أهل الباطل ينزعجون إذا سمعوا صوت الحق ينادي للعودة إلى الدين والالتزام، أو بالتوحيد الخالص، أو بالحجاب والنقاب، أو أي مبدأ من مبادئ الدين في أي وسيلة من وسائل الإعلام، أو على المنابر، وفي المساجد يحاربون الأذان، والدروس

والمواعظ، بل حلقات تحفيظ القرآن، فيحاربون كل مظهر من مظاهر التدين، يحاربون هذا الصوت الخافت، ويحرصون على إطفاء شعاع النور الباهت، ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون.

وكذلك يحرص أعداء الإسلام على مواجهة صوت الحق منذ بدايته؛ محاولين بذلك تجفيف كل منابع الالتزام والتدين، وقد نجد من المنافقين والعلمانيين مَن يكون برنامجه الانتخابي أو خطته الوزارية قائمةً على هدف واضح وهو تجفيف منابع التدين والالتزام، ويسمي ذلك بالحرب على الإرهاب.

وماذا يعني بالإرهاب؟ إنها الكلمة التي قد تقبلها الشعوب لجهلها بأغراض مَن يطلقها، أمَّا إذا قال: «تجفيف منابع الإسلام»؛ فسوف يجد معارضين مِن المتعاطفين والمحبين للدين؛ فإن حب هذا الدين في قلوب العباد أصلٌ لاشك فيه، إنه الفطرة التي فُطر الناس عليها، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»[(١)].

(١) رواه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أما الإرهاب؛ فهو في فعل اليهود والنصارى وغيرهم، فمَن يرضى بقتل اليهود لأبناء فلسطين وتشريدهم؟! أليس هذا إرهابًا؟! ومَن يرضى ببطش أمريكا في العراق وأفغانستان؟! أليس هذا إرهابًا؟! وعمومًا فحرب الإرهاب مقبول، أما حرب الإسلام فهو شيء غير مقبول.

ولذا إذا علم هؤلاء المحاربون لدين الله عَزَّوَجَلَّ بمربٍّ هنا أو معلِّم هناك يعلِّم الناس، ويربيهم على الإسلام، ويحل مشاكلهم، ويأخذ بأيديهم للنجاة من النار؛ وقفوا له بالمرصاد؛ حتى يحولوا بينه وبين تربية جيل جديد، وفي بلدان كثيرة يعملون على إيقاف العلماء عن دروسهم العلمية الشرعية، ومحاضراتهم التي يهتدي الناس بسببها، وتستقيم أفكارهم وعقائدهم، وتتسائل: لماذا يُمنع الداعية من الدعوة إلى الله، ومخاطبة الجماهير؟

إن أعداء الإسلام هم الذين يحاولون إسكات صوت الحق، ويحاولون بناء الجُدر الفولاذية بين الدعاة والشعوب؛ حتى لا يصل الحق مِن الدعاة إلى الشعوب، فتعيش الشعوب في ذلٍّ وخضوع

وجهل وضلال، وإذا وجدوا الدعاة أو الملتزمين في مكان حاربوهم، واضطهدوهم، وضيَّقوا عليهم.

فيمنعون المنتقبة من دخول الجامعة حتى تكشف عن وجهها عند الدخول، ولا تحضر الامتحان حتى تؤديه كاشفة الوجه، لماذا هذا التضييق والاضطهاد؟! لماذا يحاربون الفضيلة ويتركون الرذيلة؟! لماذا يحاربون الحق ويتركون الباطل ينتشر؟! لماذا الحرب على الدين؟!

وفي بعض البلدان المسلمة تطارد الشرطةُ المحجبةَ في الشارع حتى تنزع عنها غطاء شعرها، وحتى تتعهد بعدم لبسه مرة أخرى كأننا في فرنسا!

هل منعوا فتاة متبرجة من تبرجها وزينتها الفاحشة، وأمروها بتغيير ثوبها والاحتشام؟! لا، لم يفعلوا، ولكنها الحرب على الدين وكل مظاهره.

وهذه الحرب في بلاد المسلمين وفي غيرها، ولكن لماذا في بلاد المسلمين؟! ومَن المستفيد ونحن أبناء وطن واحد؟! إنه الطابور الخامس، إنهم المنافقون.

وأما في البلاد الغربية التي كانت تدعي الديمقراطية والحرية؛ فقد صارت الحرية لكل أحد إلا المسلمين، حتى إنهم يغيرون الدستور، ويسنُّون قوانين بعدم إظهار أي صاحب دين لشعائر دينه، ثم يحاربون الحجاب لأنه رمز وشعيرة مِن شعائر الدين، ويفرضون الغرامات والعقاب على مَن ترتدي النقاب مع عقاب زوجها -كما في فرنسا-، وكأنهم يقولون: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [النمل:٥٦].

إذن فالحرب على المفاهيم والثوابت حربٌ من قديم الزمان، وهذه الضغوط والحروب ليست وليدة اليوم؛ بل منذ القِدَمِ، وستستمر ما كان هناك حق وباطل.

فقريش كانت تحارب الإسلام وكل مظهر من مظاهر التدين، ولما أظهر خباب بن الأرت إسلامه قالت قريش: «هذا يوم له ما بعده»، واعتبرت إسلام خبَّاب يهدد الأمن القومي، فاجتمعت لأخذ القرار ضده، وشنت حملة تعذيب شرسة على كل مَن ثبت إسلامه مِن أي قبيلة، وكذلك كانت تريد أن تفعل مع ثمامة لولا مكانته في قومه وعند قريش.

إن طواف ثمامة اليوم حول الكعبة يحمل رمزًا وشعارًا جديدًا؛ لقد أصبح ثمامة ينتمي إلى دين جديد، ومنهج جديد، ولذلك فلابد أن يُحارَب ويُعادَي.

إذن فالقضية: هل أنت ملتزم وصاحب دين ومنهج وفكر، أم لا؟

فلو أن المرأة ارتدت الحجاب أو النقاب موضة لتركوها، أما إذا كان حجابها تدينًا وعبادة وشعارًا؛ كانت الحرب ولو بإصدار فتاوي من علماء مأجورين؛ ليسَوِّغوا بها القرارات بالحرب على النقاب والعفة والفضيلة.

ولو أن الرجل الملتحي أطلقها متشبهًا بأحد الفنانين أو اللاعبين لما وجد حربًا ولا أذىً.

إذن فالحرب على الالتزام الحق، الالتزام الصدق، والخوف الغربي كذلك من الملتزمين على أصول ومبادئ الدين الحقة.

ارفع صوتك

لما أقبل القوم على ثمامة رفع صوته بالتلبية إمعانًا في إظهار الحق والتمسك به.

إنه يعلن انتماءه الجديد، ويظهر شعائر دينه، ويظهر مبادئ العقيدة الجديدة في قوة وشجاعة واعتزاز، فهو يرفع صوته بالتلبية، وينظر إليهم بكبرياء.

فَهَمَّ فتًى من فتيان قريش أن يُرْدِيَه بسهم، وهو لا يدري لماذا سكت عليه صناديد قريش، ولا يدري كذلك كيف تُقال كلمات التوحيد هكذا عالية جليَّة وسط الآلهة وكبراء القوم.

فأخذ كبراء قريش على يدي هذا الفتى؛ ليمنعوه مِن فعله، وليس ذلك حبًّا لثمامة، ولا حبًّا للتوحيد والتلبية؛ وإنما لأجل المصالح، فالدنيا مصالح عند قريش، وكذلك دول العالم الغربي، فإذا كانت هناك مصلحة؛ جلسوا وتفاوضوا؛ لكي يصلوا في النهاية إلى ما فيه مصلحتهم، مع أن ثمامة يقول كلمة التوحيد ويرفع بها صوته، ومع ذلك لم يقترب منه أحد أو يناله أذى.

إن هناك مصلحة كبيرة لقريش، ولذلك استمعت إلى هذه الكلمات على مضض، ولكن لماذا؟ ما الذي تخاف منه قريش حتى تباينت المواقف، فثار فتى من فتيانها وسكت شيوخ مكة؟

إن قريشًا تدري ما يحدث، وتتريَّث في رد الفعل، ودائمًا الإنسان في سن شبابه تكون عنده طاقة وحيوية وغيرة على دينه وحماسة واندفاع، فهذا فتى يغار على الكفر، فأين غيرتك أنت يا فتى الإسلام؟ لماذا لا تغار على دينك؟

حينما تسمع أحدًا يحارب دين الله عَزَّوَجَلَّ، أو ينتهك حرمة مِن حرمات الله عَزَّوَجَلَّ، أو يُظهر كفره؛ ما رد فعلك، وما موقفك يا فتى الإسلام؟!

هذا الفتى الكافر يرى رجلًا يأتي إلى بلده، ويرفع صوته بما يخالف عقيدته، فلا يسمح له بهذا، ويحاول إخراج السهم ليقتله، ويحاول إسكاته، لكن لولا المصالح الموجودة لما أخذ الناس على يديه.

منع الشيوخ الشاب المتهور، وقالوا له: «ويحك أتعلم من هذا؟! إنه ثمامة بن أثال ملك اليمامة، والله إن أصبتموه بسوء؛ قطع

قومُه عنا الميرة، وأماتونا جوعًا»، إنه رئيس دولة صديقة، وبيننا وبينهم مصالح وعلاقات دبلوماسية لا يمكن قطعها بسهولة. فلأنه ثمامة، ولأنه ملك له نفوذه وتأثيره أحرجهم حتى أنهم لم يستطيعوا أخذ القرار المناسب تجاه رجل صدع بما يكرهون في عرينهم.

وعلى العكس تمامًا كان موقفهم من أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما جهر بلا إله إلا الله منذ عدة سنوات في نفس المكان في الكعبة المشرفة، فما كان منهم إلا أن ضربوه ليموت!

إن أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قبيلة فقيرة تعيش على قطع الطريق وسرقة المارين، ولكن ثمامة رئيس دولة، وبينهم علاقات اقتصادية حيوية، فعجزت قريش أن تتخذ الإجراء المعتاد معه، فالخطاب معه يعني الخطاب مع دولة لها شعب وجيش وقوام، فلابد من عقد الموازنات بين المصالح والمفاسد.

قال حكماء قريش: «والله إن أصبتموه قطع قومه عنا الميرة وأماتونا جوعًا».

لقد كانت اليمامة لقريش كالريف تأكل منه وتشرب، فإذا قُتل ملك اليمامة فستقطع الميرة والطعام عنهم، فالكبار الذين منعوا هذا

الشاب مِن قتل ثمامة هم الذين يفلسفون لماذا لا نقتل ثمامة؛ إنهم ينظرون إلى مصالحهم كيف يأكلون ويشربون إذا قتلوا ثمامة.

تصحيح المفاهيم

ثم أقبل القوم على ثمامة بعد أن أعادوا السيوف إلى أغمادها، ولجأوا إلى الحوار والدبلوماسية، وتركوا لغة العنف والتهديد والقتل، وقالوا: «ما بك يا ثمامة؟ أَصَبَوْتَ وتركتَ دينَك ودين آبائك؟».

فقال: «ما صبوتُ؛ ولكني اتبعت خير دين؛ اتبعت دين محمد»، نعم والله؛ فإن خير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهنا لابد مِن تصحيح المفاهيم، ولا تُترك الجمل تمر هكذا؛ فقد قالوا له: «أصبوت»، فقال لهم: «ما صبوت»، وصحَّح لهم المفاهيم، فقال: «ولكني اتبعت خير دين؛ اتبعت دين محمد».

فقد يراك صديق لك أو تراك الأسرة وقد بدت عليك علامات الالتزام والتدين بأن أعفيتَ لحيتك -مثلًا-، فيبادر أحدهم قائلًا: «هذه (دروشة) أم تطرف أم إرهاب؟!»، فلا تسكت وتُقر ما

يقول؛ بل صحّح له المفاهيم قائلًا: «لا يا أخي الحبيب، ليس تطرفًا ولا إرهابًا ولا (دروشة)؛ ولكني التزمت بدين الله عَزَّوَجَلَّ، وعُدتُ إلى ربي، وتركت ما كنتُ عليه من جاهلية ورواسبها، والالتزام غيَّر حياتي، ولذلك بدأت مظاهر الالتزام تبدو عليَّ في ثوبي، وفي كلماتي، وفي حركاتي، وفي مواعيدي وارتباطاتي، وأسأل الله لي ولك الهداية والثبات»، وتدعوه للالتزام، مؤكدًا قولك: «ما تطرفت؛ ولكني اتبعت خير دين؛ اتبعت دين محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وقد قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور:٥٤].

القرار الجريء

قال ثمامة للقوم بكل جرأة وصرامة: «أقسِم برب هذا البيت إنه لا يصل إليكم بعد عودتي إلى اليمامة حبة مِن قمحها، أو شيء مِن خيراتها حتى تتبعوا محمدًا عن آخركم».

لقد بدأت ملامح الالتزام والتوحيد تظهر بقوة وجرأة على شخصيته وكلماته، بل أصبح يدعو إلى هذا الدين الجديد.

فقَبْلَ ذلك كان يقسم بها حول البيت من أصنام، واليوم يقسم برب هذا البيت، وهذا مِن أثر التوحيد الذي تعلَّمه بين يدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقبل ذلك كان يحارب الدعوة، والآن يدعو إلى هذا الدين.

إن ثمامة يضعنا أمام صورة رائعة من صور الحماس لهذا الدين، وعزة المسلم بدينه؛ فهو وسطهم، وبين أيديهم، ومع ذلك يحلف عليهم، ويهدِّدهم، ولا أحد يستطيع النيل منه، أو التعرض له.

ثم شرع ثمامة في أداء عمرته على مرأى من قريش كما أمره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعتمر، وذبح تقربًا لله عَزَّ وَجَلَّ لا للأصنام، وقد أظهر شرائع الدين الحنيف، ومضى إلى بلاده.

الحصار الاقتصادي على قريش

وعندما عاد ثمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى بلاده سارع وأمر قومه أن يحبسوا الميرة عن قريش؛ فصدعوا بأمره، واستجابوا له، وحبسوا خيراتهم عن أهل مكة.

لقد أخذ الحصار الذي فرضه ثمامة على قريش يشتد شيئًا فشيئًا، فارتفعت الأسعار، وفشا الجوع في الناس، واشتد عليهم الكرب، حتى خافوا على أنفسهم وأبنائهم من أن يهلكوا جوعًا.

وقضت قريش مدة يسيرة تأكل مما عندها مِن طعام، ثم بدأ الطعام ينفد شيئًا فشيئًا، فعَزَّت الأقوات، وبدأ التُّجار يرفعون أسعار الأقوات.

ثم نفدت الأقوات، وجاع الناس: المفلس منهم والغني على حد سواء، وكاد القوي فيهم أن يأكل الضعيف.

قريش تستغيث

وعند ذلك كتبوا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولون: «إن عهدنا بك أنك تصل الرحم، وتحُضُّ على ذلك، وها أنت قد قطعت أرحامنا؛ فقتلت الآباء بالسيف، وأمتَّ الأبناء بالجوع، وإن ثمامة ابن أثال قد قطع عنا ميرتنا، وأضرَّ بنا، فإن رأيت أن تكتب إليه أن يبعث إلينا بما نحتاج إليه فافعل».

لقد بدا تأثير الحصار على قريش حتى أرهقهم، فلا تكافل عندهم، ولا تعاون على تجاوز الأزمات، ولا توجه إلى الله، وفشلت قريش في التكيُّف مع الأزمة، بل كل واحد منهم لا يرى إلا نفسه، وما زالت قريش تتكبر وتتغطرس حتى كادت تموت جوعًا، وعندها كتبت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تذكِّره بمحاسن دعوته وحسن سيرته: «إنك لتصل الرحم».

وهكذا أهل الباطل يعلمون أنك على الحق، وأنك ذو خلق عظيم، فلماذا يحاربون الالتزام والتدين؟

إنه تناقض أهل الباطل، فهم الذين يقبضون على سعيد ابن جبير ليقتلوه، ويقول الحجاج لجنده: «اذبحوا عدو الله؛ فما رأيت رجلًا أدعى -أقوى استحضارًا- منه لآيات الله»!

إن قريشًا تترجى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يساعد في رفع العناء والبلاء عنها، وهي تدرك أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يقدر على فعل ذلك مع ثمامة، كما أن قريشًا تدرك حسن خلقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأجابهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما طلبوا، وكان بارًّا بقومه، وكتب إلى ثمامة بأن يطلق لهم ميرتهم، فأطلقها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعًا وطاعة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهكذا ترى أن جهد رجل واحد مِن المخلصين كان سببًا في الإضرار بالمشركين، وإذلال رقابهم، فرجلٌ واحد أضر باقتصاد دولة، كما فعل أبو بصير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كذلك؛ حيث استقل ساحل البحر هو ومَن معه، وكلما مرت عليه قافلة مَن قوافل المشركين قطع عليها الطريق، حتى اضطرت قريش أن تطلب من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذف أشد بند على المسلمين من بنود المعاهدة، والذي كان يُلزِم المسلمين برد مَن أتى إليهم مسلمًا مِن قريش، وقد التزم به النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يرد الناس، لكنهم كان يرجعون إلى أبي بصير، حتى صاروا كتيبة كبيرة لها قوة تقطع الطريق على تجارة قريش وتهدِّد اقتصادها، فكان أيضًا جهد رجل واحد سببًا في تحرر المسلمين من قيد من قيود المعاهدة.

ولكن نؤكد أنه قد يسع الفرد ما لا يسع الجماعة، فما قام به أبو بصير لا يسع دولة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تقوم به؛ لما بينهما وبين القوم من عهود ومواثيق.

ومثل ذلك نُعَيم بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما أتى إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الأحزاب، وقد اشتدت الريح، واشتد المطر، واشتد

الظلام والخوف والجوع، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي، ثم بعد ذلك يرى نُعَيم بن مسعود يتسلل مِن معسكر المشركين إلى معسكر المسلمين، فيتركه حتى يقف بين يديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقول له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ؟ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ؟**»، فيقول: «نعم».

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا الَّذِي أَتَى بِكَ إِلَيْنَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ؟**»، قال: «جئتُ لأسلم، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ولم يعلم أحدٌ بإسلامي».

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا نُعَيْمُ، إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا مَا اسْتَطَعْتَ؛ فَإِنَّ الحَرْبَ خُدْعَةٌ**».

فانطلق نُعيم بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بخطته الرائعة ليُوقع بين الأحزاب الخلاف والشقاق، فانهار تحالف قريش وغطفان واليهود، وانهار الحصار الذي فرضوه على المسلمين خمسة عشر يومًا، وانتهت الحرب بفضل الله عَزَّ وَجَلَّ، ثم بجهود رجل واحد مِن الصادقين المخلصين، فلا يحقر أحدٌ دوره ولا بذله لله عَزَّ وَجَلَّ؛ فلعل الله عَزَّ وَجَلَّ يفتح على يديك.

حصار ثمامة

إن الحصار الذي فرضه ثمامة على قريش كان حصارًا سلميًّا أراد به حثَّهم على فهم الإسلام واعتناقه، أو كف أيديهم عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه، وهذا الحصار لم نسمع أن فردًا واحدًا قد مات فيه، ولم يُحدث من الأضرار الاجتماعية ما يُحدثه أي حصار في عصرنا الحالي.

نعم عندما فرض ثمامة الحصار قلَّت الأقوات، وارتفعت الأسعار وفشا الجوع؛ لأن قريشًا ليس عندها قِيَم، ولا تعاون، ولا تكافل، ولم تستطع التكيُّف مع الحصار.

ومع ذلك فعندما توجهت قريش للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطلب فك الحصار؛ أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمامة بفكه، وعودة الأقوات إلى قريش مِن جديد، وهذه أخلاق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فليس في الإسلام استغلال لفقر الناس وضعفهم وإجبارهم على الدخول في الإسلام، فلا نقول لأحدٍ: «الخبز مقابل الدين»، كما يفعل غير المسلمين.

إن غير المسلمين عندما ينشرون كفرهم في وسط أفريقيا الفقيرة وجنوبها؛ فإنهم يضعون الإنجيل في يد، والخبز في اليد

الأخرى، فإن أردت الخبز فلتأخذ الإنجيل، وليست هذه أخلاق الإسلام.



الحصار الثقافي والفكري

لقد تعرَّض ثمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للحصار الفكري من قريش كما تعرَّض له الطفيل بن عمرو الدوسي حتى أنه وضع القطن في أذنه حتى لا يسمع ما يقوله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لقد أخذت قريش تحاصر كل من يدخل مكة فكريًّا، وتحجبه عن الوصول للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعاية الكاذبة والتشويه لصورة الدين الجديد.

وهذا ما تفعله كثيرٌ من الحكومات مع شعوبها؛ إذ تحجب عنها مصدر الهدى والرشاد كما كان في الاتحاد السوفيتي؛ فقد دخل الإسلام إلى دول الاتحاد السوفيتي قديمًا في أقل من مائة عام، وحاربت الشيوعيةُ الإسلامَ، وقتلوا أكثر من عشرين مليونًا مِن المسلمين حتى فرضوا الشيوعية، بل أصبحوا يمنعون الناس من التسمِّي بالأسماء الإسلامية، ومع ذلك بقى الإسلام في جذور القلوب.

وحاول الغرب خلع الإسلام مِن قلوب الناس فعجزوا، وبذلوا لذلك ثمانية قرون يحاولون نزع الإسلام من قلوب الناس، ولكن -ولله الحمد والمنة- باء سعيهم بالفشل؛ فرغم احتلال بلاد المسلمين لم تتغير عقائدهم، ولذا نؤكد على ضرورة تجذير الإيمان في قلوب الشباب.

إن الدولة الشيوعية فرضت الفكر الشيوعي، ومنعت دخول أي فكر آخر للمجتمع، فأصبح الشعب لا يسمع إلا موجة واحدة وهي صوت الشيوعية، وكذلك في الصين وألمانيا وإسرائيل وغيرها من الدول، ومع ذلك وصل الدين إلى كثير من تلك البقاع وأبعد منها.

وعندما حدثت القفزة التكنولوجية، وانفتح العالم، وأصبح الوصول إلى المعلومات سهلًا ميسورًا؛ غزا الإسلام بيوت الغرب والشرق، والله مُتم نوره ولو كره الكافرون.

أخطر حصار

إن الدنيا وما فيها لا تزن عند الله جناح بعوضة، فحَجْبُ الطعام والشراب وموت الأبدان ظلمٌ وفسادٌ، ولكن الأشد منه

والأخطر هو موت القلب، وشلل العقول، وقد تكون أنت مِن الأسباب.

أخي الحبيب...

مَن يحاصر مَن؟

أنت تحاصر نفسك، أنت تمنعها من الالتزام وسلوك سبيل المرسلين، تحاصرها بالذنوب والمعاصي، وتمنع دخول النور إليها.

أنت تحاصر قلبك فتجعل بينه وبين ربه الحواجز والحوائل فتتعلق بغير الله، وتخاف غير الله، وتعمل لغير الله، وتحب لغير الله، تملأ قلبك بالأمراض الكثيرة القاتلة من كِبر وعُجب وحقد وحسد وضغينة وإعجاب بالنفس واحتقار للخلق وغيرها.

أنت تحاصر عقلك بالعادات والتقاليد الفاسدة، أو المعتقدات الباطلة، أو الأفكار المنحرفة، والأوهام والتفاهات.

أنت تحاصر نفسك بالموضات المخالفة لشرع الله، وتحاصرها بالسقوط في الشهوات والملذات الزائفة الزائلة، وتحاصرها بالغناء

والموسيقى والمخدرات أو الدخان والمواقع الإباحية والعلاقات المحرمة والزنا واللواط والفواحش وارتكاب العادات السيئة كالاستمناء وغيره.

أنت تحاصرها بأصدقاء السوء، وحلفاء الفساد الذين يمنعون عنك الخير والنور، ويضلونك عن سبيل الله، ويرشدونك إلى مواطن الردى والفساد والانحراف.

أنت تحاصرها بالعقوق لأمك وأبيك ومعلميك وأصحاب الفضل.

أنت تحاصرها وتحرص على إبعادها عن مجالس العلم والصالحين والعاملين للدين وأهل الخير والبر والصحبة الصالحة.

نعم، أنت تحاصرها، وتضيِّق عليها، وتمنعها مِن الوصول إلى الله عَزَّوَجَلَّ بكثرة العقبات والذنوب والخطايا وقلة صبرك على التوبة والطاعة، فسرعان ما تتوب من الذنوب، ولكنك تنقلب وتعود، والشفاء من الذنوب بأن تتوب ثم لا تعود.



حطم قيدك

أخي الحبيب..

فك الحصار.. وحطم القيود.. وحرِّر نفسك من أسر المعصية والشهوة والعبودية لغير الله، واطرح نفسك بين يدي ربك، وتب إلى الله، وألقِ بنفسك بين يدي معلمك ومربيك، وسل ربك عَزَّوَجَلَّ أن يهديك سواء السبيل، وأخلص في توبتك وعودتك إلى الله؛ يفتح عليك.

الوفـــاء

ونعود من جديد إلى ثمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحصاره الرقيق.

كتب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ثمامة بأن يطلق لقريشٍ ميرتهم، فأطلقها، فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيًّا بارًّا بقومه، وكان حريصًا على كسب الأشخاص أكثر مِن حرصه على كسب المواقف، واستجاب ثمامة فورًا لأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأطلق لهم الميرة، وهذا من حسن تربية ثمامة؛ فقد تربَّى على السمع والطاعة، ومعاني الوفاء والبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولقد ظل ثمامة بن أثال -ما امتدت به الحياة- وفيًّا لدينه، حافظًا لعهد نبيه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إن ثمامة وفيٌّ لدينه ولمنهجه الذي تلقاه عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يتقلب في كل حين، فاليوم يحمل فكرًا، وغدًا يحمل فكرًا غيره! فالذي يتقلب كثيرًا لا يستقر؛ بل يظل حياته في تقلب حتى تنتهي به الحياة دون أن ينجز شيئًا أو ينتج شيئًا.

فالوفاء للمنهج أن تعتقد المعتقد السليم، ثم تعيش على هذا المعتقد ما امتدت بك الحياة، وتدعو إليه، فمن الوفاء إذن الوفاء للمنهج؛ فلا تنحرف عنه، ولا تتلوَّن، ولا تتباطأ في الدعوة إليه والدفاع عنه.

والوفاء للداعي أو المربي الذي سلك بك طريق البناء، فتلزم منهجه وطريقه، وتعمل على التواصل مع المربي، وتنصره ما امتدت بك الحياة؛ تنشر علمه ومنهجه وفكره، وتحمي التراث الذي تركه، وتنشره لينتفع الناس به، وتكون بارًّا لمعلمك في حياته وبعد مماته.

وقد قالوا: «إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل، ودوام عهده؛ فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوُّقه إلى إخوانه، وكثرة بكائه على ما مضى مِن زمانه، والوفاء صدق اللسان والفعل معًا».

فمَن فُقد فيه الوفاء؛ فقد انسلخ من الإنسانية، والمسلم المتمسك بالوفاء في كل أحواله يجد في نفسه سعادة عظيمة عندما يوفي حقوق الله عَزَّوَجَلَّ كاملة، وحقوق إخوانه المسلمين، ولا ينسى حقَّ أهله ونفسه عليه، فيعطي كل ذي حق حقه، فإذا وجدت هذا الوفيّ الذي اختبرت وفاءه؛ فتمسك به، وقال الشاعر:

اشـــدد يـديـك بمـن بـلـوت وفـاءً

إن الـوفـاء مـن الـرجـال عزيزُ



الثبات أمام الفتنة

مِن عوامل الثبات على الدين اللجوء إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والاعتصام به، والثبات على المنهج دون تحريف ولا تبديل، مع كثرة الدعاء بالثبات ورفقة الصالحين أهل المنهج والطريق.

فلما التحق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرفيق الأعلى، وطفق العرب يخرجون من دين الله عَزَّوَجَلَّ زرافات ووحدانًا، وقام مسيلمة الكذاب

في بني حنيفة يدَّعي النبوة ويدعوهم إلى الإيمان به؛ وقف ثمامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في وجهه، وقال لقومه: «يا بني حنيفة، إياكم وهذا الأمر المظلم الذي لا نور فيه، إنه -والله- لشقاء كتبه الله على مَن أخذ به منكم، وبلاء على مَن لم يأخذ به».

إنه -والله- وضوح الرؤية والبصيرة بعد الإسلام؛ فلقد رأى ما لم يكن يراه مِن قبل.

ففرَّق بين البلاء والشقاء، فالشقاء سرمدي أبدي، أما البلاء فمهما امتدت الحياة بالإنسان في البلاء فإنه يزول.

ثم فرَّق بين الحق والباطل، والنور والظلام، ثم أحسن في توصيف الواقع فقال: «إنه أمر مظلم لا نور فيه»، إنها بصيرة الإيمان، وأثر العقيدة الصافية، واستقامة المنهج.

ثم قال: «يا بني حنيفة، إنه لا يجتمع نبيان في وقت واحد[(١)]، وإن محمدًا رسول الله لا نبي بعده، ولا نبي يشرك معه».

---

(١) قد يجتمع أكثر من نبيٍّ في وقت واحد كزكريا ويحيى وعيسي، ويعقوب ويوسف، وإبراهيم ولوط.

ثم قرأ عليهم: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر:١-٣].

لقد تصدَّى ثمامة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ لفتنة هذا الكذاب، فبعد أن كان ثمامة عدوًّا للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولهذا الدين، ولهذه الدعوة؛ أصبح هو صاحب الدعوة والرسالة؛ لشدة حبه واقتناعه برسالة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

وهكذا الأمر إذا زاد اقتناعك بدينك وعقيدتك ومنهجك؛ فإنك ستعمل من أجله، وتبذل أقصى ما في الوسع حبًّا لهذا الدين وهذا النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

لقد واجه ثمامة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ هذا الكذَّاب الذي ادعى أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أشركه في هذا الأمر، فصدَّقه كثير من أهل بلده، وبلغ مِن تبركهم به أنهم كانوا يسألونه أن يدعو لمريضهم، ويبرك المولود، وجاء قوم بمولود فمسح رأسه فقرعه! وجاءه رجل يسأله أن يدعو لمولوده بطول العمر فمات من يومه!

وكان ثمامة يغضب إذا ذُكر مسيلمة، فقد قال لأصحابه يومًا: «إن محمدًا لا نبي بعده، ولا نبي معه، كما أن الله عَزَّوَجَلَّ لا شريك له في ألوهيته؛ فلا شريك لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نبوته».

ثم قال: «أين كلام الله مِن قول مسيلمة الكذاب الذي يقول: يا ضفدع نقي ما تنقين، لا الشراب تمنعين، ولا الماء تكدرين».

وقال: «يا ضفدع يا ضفدعين، نقي ما تنقين، نصفك في الماء ونصفك في الطين، لا الشراب تمنعين، ولا الماء تكدرين، ولا الطين تفارقين، لنا نصف الأرض، ولقريش نصفها، ولكن قريشًا قوم يعتدون».

أين قرآن الكذَّاب من قرآن الرحمن؟

إنه الضعف والوهن عند أهل الكفر، فلا حجة عندهم ولا برهان، بل يحاولون تشويه مصادر التلقي عند أهل الإسلام، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ حافظ كتابه ودينه.

ثم انحاز ثمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بمَن بقي معه على الإسلام مِن قومه، ومضى يقتل المرتدين جهادًا في سبيل الله، وإعلاء لكلمته في الأرض، فلم يعبأ بقلة العدد.

وفي وقت الأزمة خاصة لابد مِن جمع الشمل للعمل والبذل كرجل واحد؛ ولصد العدوان، وتحقيق النصر بإذن الله، فمهما كان عدد العاملين قليلًا؛ فلابد مِن ترتيب الصفوف، وجمع الأعوان، والانتصار لهذا الدين، وإنما ينتصر المسلمون بعون الله عَزَّوَجَلَّ وتوفيقه.

وأنت -أخي الحبيب- إذا كنتَ في مكان قليل؛ فاجمع إخوانك، وتعاونوا على البر والتقوى؛ لنصرة الحق وإظهاره ولقتال الكافرين، واحذر أن يفرِّق الشيطان بينك وبين إخوان منهجك وعقيدتك، فيجعلكم أحزابًا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال:٤٦].

ولقد ظل ولاء المؤمنين وجهاد الكافرين هو المحرِّك القوي لثمامة ولإخوانه مع قلة عددهم، فلم يتوقَّفوا عن العمل لهذا الدين الحنيف، والدفاع عنه، ونصره، وليتأكد لدى كل العاملين أن العمل في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ أصعب من الموت في سبيل الله، ولكن الله يؤيد أولياءه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨].

وفي خلافة الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وعندما جاءت جيوش المسلمين لقتال بني حنيفة المرتدين انضم إليها ثمامة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ بمَن معه مِن قومه

الذين ثبتوا على الإسلام، ثم غدا في جيش خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد حارب قومه.

ولما انتهى أمر بني حنيفة أمره الصِّدِّيق أن يسير بمَن معه إلى البحرين لمعاونة العلاء بن الحضرمي في قتال المرتدين، فسار إلى العلاء، والتحق بجنده حتى أظفرهم الله عليهم، واشترى ثمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حُلَّة كانت لكبير المرتدين وقد قُتِل وسُلِب، فرآها عليه بعضُ أهل القتيل، فظنَّ أنه هو الذي قتله وسَلَبَه، فقتلوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في العام الثاني عشر من الهجرة.

اللهم ارحم ثمامة بن أثال، واجزه عن الإسلام والمسلمين خيرًا، وأكرمه بالجنة التي وُعد المتقون.

ونسأل الله أن يكرمنا وإخواننا الصالحين بجنات النعيم، ورفقة النبي الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحب الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

مصطفى دياب

الإسكندرية

في ١٧ صفر ١٤٣٢هـ - ٢١ يناير ٢٠١١م

الفهرس

تم بحمد الله



عدي بن حاتم رضي الله عنه



كتبه الشيخ

مصطفى دياب

ملاحظات للقارئ:

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....